الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون- تيارت-

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مسار: تاريخ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

موسومة بـ:

محن العلماء في المغرب الإسلامي

دولتي المرابطين والموحدين نموذجا (453-653هـ/1070-1269م)

من إعداد الطالب:

عبد الحق مرزوقي

إشراف الأستاذ:

إلياس الحاج عيسى

لجنة المناقشة

د. محمد عليلي	رئيسا
أ. إلياس الحاج عيسى	مشرفا
أ. تريكي فتيحة	مناقشا

السنة الجامعية: 1438-1439/2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول أبو بكر ابن العربي ت 543هـ:"كان الأمراء قبل هذا اليوم وفي صدر الإسلام ،هم العلماء ،والرعية هم الجند ،فاطراد النظام و كان القوام ،ثم فصل الله الأمر بحكمته البالغة وقضائه السابق ،فصار العلماء فريقا والأمراء آخر وصارت الرعية صنفا وصار الجند آخر ، فتعارضت الأمرو ولم ينتظم الجمهور ". نقله ابن الأزرق في كتابه:بدائع السلك في طبائع الملك ،تحقيق :محمد عبد الكريم .

يقول الدباغ في معالم الإيمان: " جزى الله مشيخة القيروان خيرا، هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة رحمهم الله ورضي عنهم "

سئل أحمد بن حنبل عن المحن فقال :"لولا المحن لشككت في الطريق " المحن لإبن عربي .

كلمة شكر وعرفان

من لايشكر الناس .... لا يشكر الله.

أتقدّم بالشكر الجزيل إلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع :

وعلى رأسهم ....أولئك الذيـــــــــن نقتات على موائدهم .... و الذّين قطفنا من محنهم منحًا

العلمـــــــاء الأفذاذ .

إلى أستاذي المشرف **إلياس الحاج عيسى** ،و الأستاذة تريكي فتيحة، الّذَيْن أفدت منهما الكثير في هذا ا لمســـــار

والشكر موصول أيضا إلى الأستاذين الكريمين الذيْن لم يبخلا عليّ بالنصح والتوجيه :الأستاذ **لخضر بولطيف** والأستاذ **عبد الكريم بناني** من دولة المغرب .

وكلّ الشّكر والإمتنان إلى أختي الأستاذة مرزوقي أسمـــاء التي ساهمت بشكل كبير في إكتمال هذا البحث .

قائمة المختصرات

الكلمة	اختصارها	الكلمة	اختصارها
تحقيق	تح	دون بلد نشر	د ب ن
ترجمة	تر	الجزء	ج
تقديم	تق	توفي	ت
تعليق	تع	مراجعة	مر
طبعة	ط	دون سنة نشر	د س ن
دون طبعة	د ط	من الصفحة كذا إلى الصفحة كذا	ص – ص

مقدمة

إنّ الكتابة التاريخية المتكاملة هي تلك الكتابة التي يتمّ فيها توظيف كل العناصر الفاعلة في خلق الحدث التاريخي إمّا بتوفّرها كمادة علمية بيّنة المعالم أو استنطاقًا من إستقراء ظمني لمواردها، ومن جملة ذلك مايتعلّق بالإتصال الوثيق بين الجانبين الفكري والسياسي وتداخلهما ببعضهما البعض إمّا إطّرادا أو عكسا في رسم العلاقة بين السلطة صاحبة القوة و الغلبة، وطائفة الفقهاء التي تتمتّع هي الأخرى بحضور أكبر على نطاق واسع بين تلك السلطة والعامة .

فالسلطة الزمنية في تاريخ الغرب الإسلامي كانت عادة لاتطيق أن تُخالف أو يَتعدّى سلطانَها أيّ أحدّ مهما كانت مكانته وعلمه؛ وفق آليات تباينت ضروبها في تفعيل المبتغى وتسليط الهدف المنشود، ومن جهة أخرى نجد طائفة الفقهاء تفاعلت هي الأخرى مع هذا المبتغى إمّا تأييدا بالمشي في نفس المنحى أو ضدّا في مواجهة تلك الأساليب لكونها متمتّعة بأكبر قدر من النفوذ والتأثير .

وبما أنّ الخلاف مُورث للصّدام كانت مادة **المحن** ، التي نالت كبير حظّ من الرصد في أمّهات الكتب التي تناولت تاريخ الأعلام والمشاهير من الفقهاء والعلماء...

فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الفقهاء المالكية في الغرب الإسلامي إهتمّوا بتاريخ أعلام مذهبهم وفي سياق ذلك ذكروا أوجه الصراع بين المالكية وغيرهم ، وهي أُولى المصادر لأيّ بحث يخص أعلام المذهب مع غيرهم ،متعدّية في ذلك حدّ التعريف بالأعلام لتتناول التاريخ السياسي والفكري للمنطقة منفردةً بكثير من الفوائد والفـرائد التي لا تعتني بها كتب التاريخ العام ، وكان المستشرقون أول من استثمر في مثل هاته المصادر في التأريخ للفرق الإسلامية بشمال إفريقية مثل ألفرد بل وبروتشفيك ، اللّذين إعترفت كتاباتهما بالوحدة المذهبية التي قعّد لها المالكيةُ دون غيرهم وذكروا أن هاته الوحدة لم تأت إلاّ بعظيم عناء وجهد مرير.

هذا ما جعل موضوع المحن يتعدّدُ حضوره كتقاسم مشترك وارد في مختلف المصادر والمراجع التي أرّخت لتاريخ الفكر وتداخله مع السياسة. إلّا أنّ الملاحظ على هذه الكتابات-في وصفهاهذا- بعد فترة العبيدين قد انطلقت من موقفين متناقضين تماما :

موقف مدافع عن المالكية وإليهم يرجع الفضل في توحيد المغرب في إطار السنة أصولا وفروعا ومقاومة أصحاب الفرق ، وموقف آخر ناقم عليهم يصفها بالجمود والتحجّر وأنّهم وقفوا في وجه حرية الفكر وقمعوا التحرّر العقلي ولم يسلم منهم لالفلاسفة ولاالمتصوفة .

ومن خلال ماسبق نرى أنّ موضوع محن العلماء بالغرب الإسلامي يمكننا من ولوج عدّة قضايا متشعّبة ،إمّا بالتّقادم أو بالإنقسام المعهود بين الأفكار والمذاهب ، وتبرير ذلك أننا نجد أنفسنا ضرورة أمام أطاريح أشبه مايكون بالمسلمات في تاريخنا ، تلقّيناها إمّا جبرا أو أخذناها جهلا بالموضوع أحيانا كثيرة ، ومثال هذا :لمذا نجد قضية إضّطهاد المرابطين للفلاسفة والمتكلمين لا يكاد يقبل النقاش أو التشكيك ونقيض ذلك في مايُسمى بالأزمة المالكية في الدولة الموحدية .

وعليه جاءت دراسة فكرة موضوع المحن كعنوان مستقل يخضع لمراحل متوالية في تاريخ المنطقة بدءا بدولة الأغالبة والعبيدين إلى دولة المرابطين والموحدين كنموذجين مستقلّين بُغية منّا في مسح الغبار ولو نسبيا عن موروثنا التاريخي الذي لا غنى لنا عنه مع كونه محطّ تهم كثيرة وإلساقات حُكمية مُسبقة مشكّك فيها، ولأنّ المحن كذلك تهتمّ بنقاط الصدام بين الفقيه والسلطة وتموقع العامة بين شقّي هاته المعادلة ،في رسم العلاقة بين هاته الأطراف الثلاث وما يتأتّى عن ذلك من مادة معرفية كنتيجة للصراع أو التوافق ،وفق ما يحمله كلّ ضرب من رمزية معرفية بين ما هو واقعيّ محبوب ومُتّبع ، وبين ماهو غائر في المثالية بعيداً عن الإتباع والتبجيل .

كما أنّ المحن تعطي لنا صورة واضحة عن مدى القبول من عدمه لطائفة العلماء ، بل وحتى التميّز بينهم داخل أعلام المذهب الواحد ،وهذا كله يساهم إلى حدّ كبير في خلق عصبية مذهبية ميّزت أحيانا كثيرة مكونات القاعدة المعرفية للمنطقة ،دون أن ننسى أن تداخل الفكر بالسياسة موضوع عويص غائر في الأفهام و الرؤى يتطلب كمًّا معرفيا بالتاريخ وتداعيات كل مرحلة على أخـرى ؛إلاّ أنّني حاولت جاهدا إقحام هاته الدراسة على الأقلّ ولو في فلك التساؤل مستأنسًا ببعض الدراسات السّابقة التي وضّحت الرؤى ،إلاّ أنني عملت على أن تكون بصمة الجدة في هذا

،مُنطلقة من دراسة المحن التي تعدّ أمرا ثابتا وقاسما مشتركا بين كل مراحل تاريخ الفكر السياسي بالغرب الإسلامي وكذلك لتكررها في أحيان كثيرة في أعراف العلاقة بين السلطة والفقهاء .

ولإستطراد كل ماتم ذكره إرتأيت أن يكون الموضوع ذا إشكالية محورية مفادها :كيف ساهمت المحن في خلق العصبية المذهبية لطائفة من الفقهاء دون غيرهم ، وكيف تمكنت هاته العصبية أن توطّن لنفسها وتحقق الإستمرارية على مدى قرون عدّة رغم مانالها من إضّطهاد وإمتحان سُلطوي ؟ومما يفيد أن يكون روافد معرفية، أوردته في تساؤلات فرعية تسلسلت عناصرها كالآتي : ؟هل كان المرابطون حقّا يُحجّرون على العقل لدرجة متابعة كل من يشتغل بالفلسفة وعلم الكلام بدعوى إحترام النص وعدم الخوض في مسلماته العقدية وهل كان الموحدون بعدهم في إجراء عكسي يرومون إحداث تغيير في ساحة الفكر كمشروع معرفي أم مجرد محاولة لتحجيم عصبية مذهبية تنامى ثقلها على الساحة السياسية والفكرية ؟

وهل أخلّت مسألة إحراق الكتب ومصادرتها على صياغة العلاقة بين القيمة الموضوعية للمتكوب و بين مُجمل البُنى الفكرية والثقافية لدولة المرابطين والموحدين ؟وكيف يمكننا الإستفادة من موضوع المحن في إسقاطاتها على الحاضر باعتبار أنّ جل المشكلات التي واجهها الفقهاء ويواجهونها تسير في منحى واحد وقابلة للتجديد والإستمرار بل وحتى التقوي في أزمان لاحقة.

ولمناقشة هاته الإشكالية إستعنّت بالمنهج الإستقراءي لفائدته في إستطراد الحدث التاريخي وأخذ صورة عامة عن جوانب المحن المبثوثة في كتب التراجم والمذاهب. ولطبيعة الموضوع في رواياته المصدرية المتضاربية في بعض الأحيان وما لحقها من كتابات مشرقية إستعنت بالمنهج التحليلي في إسقاط الجزء على الكلّ ، وتمحيص صحّة الحكم بناءا على ماتوفر لدينا من مادة علمية ،ومن خلال التضادّ الوارد بين الاسس الفكرية للدولتين السابقتين وجدت نفسي أحيانا كثيرة أعمل على المقارنة بينهما.

وبناء على ماسبق ذكره من إشكاليات محورية وآليات الدراسة في المنهج المتّبع كانت خطة البحث كـــــالآتي :مقدمة :والتي احتوت على تمهيد للتعريف بالموضوع وأهميته ثمّ ،بدأت بإحداث فصل أول معنون بـ : محن العلماء في عصر ماقبل المرابطين (العهد الأغلبي والعبيدي) مقسّما إيّاه إلى ثلاثة مباحث مبتدءا بدور العلماء المغاربة في ترسيخ العقائد السنية ببلاد المغرب كمبحث أول وذلك كرصدّ للدّور الجليل الذي قدّمه أولئك في حفظ المعتقد السليم لإحداث نوع من الهالة والتبجيل لأولئك النفر الذين ننحني إجلالا وإحتراما لهم ،ومبحث ثاني عنوناه بـ : محن العلماء على عهد الدولة الأغلبية كرصد لبوادر المواجهة بين السلطة والفقهاء حول المذهب المتّبع ، ومافعله كل طرف في تغليب مبتغاه ومراده ،ثم مبحث ثالث : محن العلماء على عهد الدولة العبيدية : تطرقنا فيه إلى بلوغ المواجهة أوجّها بين الفقهاء وأتباعهم من العامة في مقارعة المدّ العبيدي على المغرب وفي نهاية الفصل تطرقت إلى بروز المالكية كقوة فكرية فاعلة ، ممّا أسلم إلى ظهور عصبية مذهبية ،وأحقّيتها بذلك كقوة معرفية في ساحة فكرية خالية من المواجهة في تلك الفترة .

وجاء الفصل الثاني مندرجًا تحت عنوان :محنة العلماء على عهد الدولة المرابطية ،تطرقت فيه إلى أربع مباحث ،مبحثه الأول تحت مسمى : الأسس الفكرية لدولة المرابطين وذلك لدورها في معرفة الكيفية التي وُجّه بها فلك الحقل المعرفي للمنطقة ،ثم مبحث ثاني وهو علاقة الفقهاء بالسلطة في الدولة المرابطية لمعرفة طبيعة تلك العلاقة وإلى أي فريق ولّت السلطة وجهها شطره دون غيره ،ليتم في المبحث الثالث معالجة موقف السلطة من الطرف الآخر ، أي موقف السلطة المرابطية من التصوف وعلم الكلام في إشارات ضمنية لموضوع المحن، شرحت فيه قضيّة إحراق الكتب في محاولة لفهم سبب ذلك .وكوضع حدّ للفهوم التي حاطت حول قضية الإحراق وتوسع محاملها رأينا أن يكون المبحث الرابع معنونا ب نماذج من محن المتصوفة على العهد المرابطي.

والفصل الثالث تضمن محن العلماء على عهد الدولة الموحدية وهو الآخره بتمهيد و قسّمناه إلى أربعة مباحث ،مبحثه الأول عن الأسس الفكرية لدولة الموحدين بُغية معرفة التباين بينها وبين

سابقتها المرابطية ،والمبحث الثاني من هذا الفصل في موقف الدولة الموحدية من الفقه المالكي كطرف مناهظ وذلك لفهم جزئيات هاته المواقف ،وهل كانت تمسّ كل المذهب ورجالاته أم أنّ هناك تغليب لجانب على غيره ،ثم أدرجنا في المبحث الثالث : نماذج من محن العلماء على العهد الموحدي لإعطاء صورة عامة عن المحن التي طالت طائفة المعارضين للحكم الموحدي ومدى تموقع المالكية فيها في محاولة للتوصل إلى صورة حقيقية في قضية المحن ومن طالته وإلى أيّ حدّ طُبقت عليه ،لأخلص في المبحث الرابع إلى بعض الإشارات عن تداعيات المحن على الساحة المعرفية في تلك الفترة بين الفقه المالكي وتيار التصوف، وختاما لهذه الدراسة جاءت الخاتمة متضمنة الإجابة عن التساؤلات الواردة في التقديم والمتولدة في المضمون . وللإشارة اوردت تمهيدا و خلاصة لكل فصل مراعاة للربط بين المضمون و خطة الدراسة ،لتليها فيما بعد قائمة الببليوغرافيا والتي هي عبارة عن مجموعة من الدراسات المصدرية والمرجعية جاءت بعض مواردها كالآتي:

-من أُولى المصادر إفادة في تقصّي مادة هذا البحث كان البدأ بكتاب المحن للمحدث الفقيه و المؤرخ أبي العرب بن تميم في كتابه المحن الذي وقع عليه النظر من خلال عنوانه العريض باعتباره سبقا مغاربيا في هذا الموضوع في تلك الفترة والذي عاين أحداث كثيرة وعاصرها في أواخر الدولة الأغلبية والعبيدية إلى حين وفاته سنة 333هـ،ويليه من حيث الأهمية أيضا كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض والذي تكرر الأخذ منه لغزارة علمه ومتانة إعتماده على الأصول كونه محدث وفقيه في نفس الوقت،وأيضا كتاب الصلة لإبن بشكوال والكتب المكملة له ككتاب التكملة وصلة الصلة لابن الزبير والذيل والتكملة لابن عبد الملك باعتبارهم معاصرين للحدث أو مقاربين له ،وكتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي في رواياته عن الدولتين الموحدية والمرابطية إذعرضتها على بعض ما ورد في روايات أخرى محاولة لفهم مامدى تموقع مادته في الروايات الأخرى المغايرة ،هذا فيما يخص بعض المصادر ،أما عن المراجع عرجت على الأخذ من بعض المراجع التي كان لها دور في توجيهي إلى المصادر المذكورة آنفا أذكر كتاب جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة لإبراهيم التهامي الذي أفاد وأجاد في كتابه الغني بكنه المحامل الفكرية للتاريخ ، وكذا كتاب تطور المذهب

المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي للأستاذ مُحَمَّد بن الحسن الشرحبيلي الذي رصد حركة المذهب المالكي رصدا فكريا منقطع النظير ومؤلف الفقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية للأستاذ لخضر بولطيف والذي توفر على كم هائل من المعلومات صعب علينا رصدها في أحيان كثيرة .

وكأي عمل يُرتقب ..... واجهتني صعوبات مسّت الجانب الموضوعي للبحث تمثلت في صعوبة النقل من كتب المذاهب لكثرة التفريعات وقلة الباع في علوم الآلة لذلك لم أتطرق إلى أُسّ الأقوال في المذهب مخافة الوقوع في غير المراد ، زيادة على قلة اللغة ودقة التعبير التي تحمل دلالات إصطلاحية لم تكن لي الكفاءة على فهمها كليةً كقضية الرأي والإجتهاد ،فمثلا نجد كتاب المحن لأبي العرب الذي يقول عنه أحد المعلقين على مادته بأن كاتبه كان محدثا درج فيه على مذهب أهل الحديث هذا مايجعلنا نراه بسيطا في طرحه غير أنه موغل في الفوائد يفهمما من له دراية كبيرة في علم الحديث ، ومن بين الصعوبات أيضا نذكر طول الفترة المدروسة التي جعلتنا مضطرّين في كثير من الأحيان أن أمرّ على بعض الاحداث لوفرتها في كتب ومراجع أخرى أكثر دقة وصلة بالموضوع،كذلك بالنسبة للدولة الموحدية وما تميزت به من ضبابية في مشروعها ، الأمر الذي يفرض على الباحث كثرة التقصي ودقة الملاحظة مع الإلمام الجيد بالفقه وأصوله أولاً.

هذا و الله المسؤول عن حصول المأمول و عليه التكلان.

الفصل الأوّل: محن العلماء مع السّلطة قبل الدّولة المرابطية

(دولتي الأغالبة والعبيديين)

- تمهيـــــد
- المبحث الأول: دور العلماء المغاربة في ترسيخ العقائد السنية.
- المبحث الثاني : محن العلماء على عهد الدولة الأغلبية .
- المبحث الثالث : محن العلماء على عهد الدولة العبيدية.

تمهيد :

ليس هناك شك أنّ دعم السلطة لفكرة ما يعطيها الدفع والقوة والانتشار، وذلك بفضل الوسائل التي تتاح لها عادة، منها ماهو بشري ومنها ماهو مادي، الأمر الذي يمكنها-أي السلطة-من بلوغ الاهداف المسطرة بالمقارنة مع الأفراد البسطاء ،فدعم السلطان ييسّر للفكرة الإنتشار على الأقل وإن كان لا يظمن لها التمكين والإقتناع من قبل العامة ،إلاّ إذا كانت الفكرة في حدّ ذاتها تحتوي من العناصر مايعطيها الرضى والقبول وبالتالي يزيدها إنتشارا ويوفر لها فرصا أكبر للبقاء والإستمرار.

ولقد كانت الفكرة التي نعنيها هاهنا (المذهب المالكي)محظوظة في علاقتها مع ذوي السلطان، فقديما وفي حياة الإمام مالك – رحمه الله- عرض عليه نشر مذهبه[1] بواسطة الدولة العباسية ،إلا أنه ترك للناس حرية إختيارهم [2].وجاءت المرحلة المغاربية لذلك المذهب عندما إنتشر وتمكن في الأندلس وإفريقية فكان بدعم السلطة الحاكمة أيضا وقد إشتهرت مقولة ابن حزم في يحي بن يحي اللّيثي وتمكنه من قلوب الأمويّن ومقالته في سحنون بن سعيد لما ولي بنفسه قضاء إفريقيـــة [3]

وبالــرغم من هذا الوفاق نجد بعض المواقف الصعبة ،التي وجد فيها العلماء والسلاطين أنفسهم في مواجهة دامية أحيانا كثيرة ومتكررة في تاريخ المغرب عموما.

والذي يحصل من هذا التقديم هو محاولة فهم الكيفية التي إستطاعت بها تلك الأطراف الحفاظ على الوفاق القومي والبناء الحضاري عموما ؟هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف إستطاع الفقهاء

---

[1] **المذهب** :لغة :هو الطريق أو المعتقد ،أمّا إصطلاحا فهو مجموعة الأراء التي يراها أو يعتقدها الإنسان حول جانب في الإعتقاد أو النظام أو السلوك ،ينظر:ناصر عبد الله القفاري وناصر عبد الكريم العقل ،الموجز في الأديان أو المذاهب المعاصرة ،سلسلة دروس في العقيدة ،دار الأصمعي للنشر والتوزيع :الرياض، ،1992م، ط :1ص:10.

[2] القاضي عياض،ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تح : مُحَمَّد بن شريفة، مطبعة فظالة المحمدية : المغرب دس،ج:07ص:42.

[3] مُحَمَّد بن الفتوح الحميدي ،جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تح:بشار عواد، مُحَمَّد بشار عواد ،دار الغرب الإسلامي : تونس ، 2008م ط:1ج:2،ص:611.

المالكية في إطار حوالك المحن الحفاظ على تماسكهم وصيرورة أعمالهم وواجبهم الديني رغم مانالهم من شنيع الصنيع؟ وهل سيستمر ذلك التوافق بين السلطة والفقهاء في العهد الأغلبي على نفس الوتيرة في العهد العبيدي؟

المبحث الأول:

-دور العلماء المغاربة في ترسيخ العقائد السنية:

لقد كان للبعثة العمرية [1]التي أرسلها عمر بن عبد العزيز الأثر البالغ في بدأ النهضة الثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، فبعد أن تخرج منها الرعيل الأول من علمائه كالبهلول ابن راشد **ت183**هـ ،وعبد الله بن غانم الرعيني ت **190هـ**[2] فسحت المجال للأفكار والمذاهب أن تعبر دون حواجز وتمكّن لنفسها في هذه الربوع وهكذا نجد المدرسة المالكية شرعت مبكرا في تثبيت نفسها محدثة حركة فقهية وفكرية ، فانصبّ إهتمام فقهاء المغرب على التمسك بالكتاب والسنة وعلى أساس ذلك عكفوا على الرحلة نحو الشرق للتزود بالعلم من أئمّته ،فانتشر المذهب الحنفي[3]،ثم المذهب المالكي[4] الذي تمسّكوا به ولم يفارقوه، ومن أجله رحلوا إلى الحجاز ،حتى قيل أن أئمتهم لا يعرفون إلا المذهب المالكي، مبتعدين عن المذهب الحنفي بناءا على إعتبارات عدة؛ منها قول إبن خلدون حين قال في أن تشابه البيئتين في البداوة كان عاملا كبير في ذلك [5]،وكذلك علو شأن المغاربة

---

[1] **البعثة العمرية**:هي وفدبعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز في سنة 100هـ من عشرة علماء إلى أهل المغرب لتعليمهم أصول الدين وهؤلاء العلماء ترجم لهم المالكي في رياض النفوس وهو سعد بن مسعود التحبي ،أبو عبد الرحمان التحبي،إسماعيل ابن عبيد الأنصاري،أبو جهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي ،موهب بن حي المعافري،حيان بن جبلة القرشي،أبو حمامة بن سوادة الجذامي،أبو سعيد بن عاهان بن عمير بن اليثوب،أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي،طلق ينظر ابو بكر عبد الله ابن مُحَمَّد ،المالكي رياض النفوس ،تح : بشير بكوش،دار الغرب الاسلامي بيروت ،1983م،ط:1ص:117.

[2]أبو العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم ، طبقات علماء إفريقية ،تق وتح: علي الشابي ونعيم حسن باقي ،الدار التونسية للنشر ،1968م دط،ص:126.

[3]القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،المصدر السابق ،ج:1،ص:54.

[4] **المذهب المالكي**:نشأ المذهب المالكي بالمدينة على يد عالمها أبو عبد الله مالك ابن أنس الأصبحي توفي 197هـ،شيخ العلماء وأستاذ الأئمة يتفرع مذهب عن مذهب عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله ،يعد مزدوجا بين تخصص الفقه والحديث ،من خلال كتاب الموطأ،وهو أول ما ألف في الإسلام ولم يسبق إلى مثل هاته التسمية،تعتبرأصوله من أصح الأصول والقواعد الفقهية ،أرجعها بعضهم إلى خمسمائة أصل ،ينظر :إبن تيمية مجموع الفتاوى ،جمع وترتيب :عبد الرحمن مُحَمَّد بن القاسم ، ج:20، طبعة بإلاشراف العام لرئاسة الحرمين الشريفين ،دط،د ت ،ص:328.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون ،المقدمة ،مكتبة ، المثنى بغداد، :1982م دط،ص:449.

عند الإمام مالك لما رآه منهم في جدّة الطلب وصدق التوجه، إضافة إلى أسباب أخرى حول خصوصية المذهب ،فسلكوا مسلك إمامهم في كل صغيرة وكبيرة كطريقة ردّه على أهل المذاهب المتنامية إذ ذاك كالخوارج[1] والمعتزلة الذين تمكّنوا من بثّ دعاويهم ، خاصة وأن المجتمع تهيأ لإستقبال أي فكر جديد يعارض السلطة ويهتم بمصالحهم .[2]

لكن التساؤل الذي يطرح نفسه حتما هاهنا هو : كيف جابه فقهاء المغرب هذه الدعوات ،وما لاقوه جرّاء ذلك؟

إنّ الحديث عن جهود العلماء المغاربة في مقاومة النّحل الدخيلة عليهم حديث ذو شجون تطول فصوله وحلقاته، لأنه مرتبط بتاريخ الإسلام نفسه في هذه الرقعة من العالم الإسلامي ،فما كان من هؤلاء الأعلام إلاّ أن قعّدوا ضوابط في التعامل مع أي فكر وافد ،ومن بين تلك التيارات كانت المعتزلة [3]من أقدم الفرق دخولا إلى المغرب [4]ومن أكثرها تأثيرا فيه [5]،إلا أن الملاحظ أن المعلومات

---

[1] **الخوارج**:مصطلح يطلق على طائفة من أهل الآراء والأهواء يقول عنها ابن حزم :بأنهم من وافق االخوارج في إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وان أصحاب الكبار مخلدون في النار وأن الإمامة في غير قريش فهو خارجي. ولهم عدة تسميات وفرق قاربت عشرون نوع في الأصول والفروع ،ينظر : ابن حزم الأندلسي،الفصل في الملل و الأهواء والنحل ،تح:عبد الرحمان خليفة،مكتبة محمّد علي صبيح القاهرة مصر1347هـ ط:2،ج:2،ص:113.

[2] أحمد بدر ،هجرة الثقافة من المشرق إلى المغرب في القرن 2هـ ،مجلة دراسات تاريخية ،دمشق ،سوريا ،ع:8 :1982م،ص:88.

[3] كانت بداية الإعتزال على يد واصل ابن عطاء ،لما اعتزل مجلس الحسن البصري في مرتكب الكبيرة وأنه بين منزله من المنزلتين،،لا على رأي الخوارج ولا على رأي المرجئة الذين أخروا العمل على مسمى الإيمان أي أنه لا مؤمن ولا كافر ،ينظر : الشهرستاني ،الملل والنحل ،تح:عبد العزيز محمّد الوكيل، مؤسسة الحلبي القاهرة مصر،1992م،ط:2،ج:1ص:48،47.

[4] عرفت طريقها الى المغرب بارسال واصل بن عطاء داعيته وهو عبد الله بن الحارث ،ينظر:أحمد أمين ،فجر الإسلام،دار الكتاب العربي :بيروت لبنان، 1969م، ط:1ص:55.

[5] يذكر ياقوت الحموي أن مجتمع الواصلية كان قريبا من تاهرت في ثلاثين ألفا يحملون خيامهم ،ينظر :ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، دار الكتاب العربي :بيروت لبنان ، :1993م،ج:2ص:549.

المتوفرة عن هذه الفرقة وفكرها نادر خصوصا تراجم رجالها وتفاصيل الأصول الخمسة للمذهب في بلاد المغرب [1]

والسبب في ذلك يرجع إلى علماء المغرب من أهل السنة الذين لم يكونوا يرون من خرج على دائرة السلف أهلا للعلم ولا يعدّون خلافهم معتبرا ولذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألّفوها وهذا يعدّ نوعا من أنواع المقاومة فقد نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك فقال:"أجمع أهل الفقه والأثار من جميع الأمصار ،أن أهل الكلام[2] أهل بدع وأهواء وزيغ ولا يعدون عند الجميع ممن تقدم في طبقات العلماء ."[3]

وكان ذلك بدءا بابن فرّوخ تلميذ مالك ،والذي كتب إليه يخبره أنه ألف كلاما في بعض المسائل ردّا على أهل البدع ،فأجابه مالك : "إنك إن ظننت ذلك بنفسك ،خفت أن تزل وتهلك ،أو نحو ذلك ،لايردّ عليهم إلاّ من كان عالما ظابطا ،عارفا بما يقول" [4]علما أنّ البدع التي يشير إليها ابن فروخ [5]هي أقوال الخوارج والمعتزلة ،باعتبارهم شيئا واحدا حسب قول البكري [6]الذي يعتبر الخوارج

[1] مُحَمَّد عليلي،الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين 1هو3هـ_7م،8م رسالة،دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ،جامعة تلمسان ،.2015م 2016م ،ص:63.

[2] **علم الكلام** :هو أحد العلوم التي تعمل العقل في برهته مسائل العقيدة يعرفه ابن خلدون بأنه علم يتظمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والهدف منه تقويم التفسيرات المبتدعة والمنحرفة عن فهم السلف ويسمى أيضا علم أصول الدين وعلم التوحيد في الرد على أهل الجدل .ينظر:ابن خلدون ،المقدمة،مصدر سابق ،ص:580.،مُحَمَّد أبو زهرة ،تاريخ الجدل ،دار الفكر العربي القاهرة مصر ،دس،ط:2،ص:123.

[3] ابن عبد البر ،جامع بيان العلم وفضله ، تح:أبو الأشبال الزهبري ،دار ابن الجوزي الدمام ،السعودية،ا 1994م.ط:1 ص:95.

[4] أبو العرب تميم ، طبقات علماء إفريقة المصدر السابق، ،ص:34.

[5] **الإمام عبد الله ابن فروخ الفاسي** ت 171هـ من أوائل من رحلوا في طلب العلم وكان من شيوخ المغرب الكبار وكان مالكيا معروفا وفاضلا وكان يبغض أهل البدع ،ينظر: المالكي، رياض النفوس مصدر سابق ج:1،ص:234

[6] أبو عبيد البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقة والمغرب ، جزء المسالك والمالك،مكتبة المثنى ،بغداد ،دط ،د س، ص72.

الخوارج من المعتزلة في بعض الإعتقادات كمسألة مرتكب الكبيرة وأنه في منزلة بين المنزلتين ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأحد التفرعيات عن أصل من الأصول الخمس للاعتزال :(العدل)[1]

لذا نجد قول ابن فروخ غليظا فيهم حيث قال ":فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين وبعد يوم الدين وفي طول دهر الداهرين" [2]وفي هذا شبه بين قوله وقول مالك – رحمه الله– الذي نقل عنه من طريق ابن مهدي ت (198)أنه قال دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال :"لعلك من أصحاب عمر بن عبيد لعن الله عمرا فإنه اتبع هذه البدعة من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام" [3]علما أنّ عمر ابن عبيد هذا من أصحاب واصل ابن عطاء وإليهما ينسب الإعتزال [4].

إلاّ أنّ هذا المذهب قدّر له الإنتشار مرحليا ،بفضل سطوة الأغالبة[5] وحملهم العامة عليه، وذلك بإدارتهم للخلاف الفقهي بين المالكية والأحناف وترجيحهم للأول على الثاني ورسموه مذهبا للدولـــــة[6].محاكاة للخلفاء العباسين الذين تبنّوا أراء المعتزلة في عهد الخليفة المأمون لا سيما مسألة خلق القرآن.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ،المقدمة مصدر سابق ج 1،ص:231

[2] عبد الرحمان الدباغ ،معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تع:ابارهيم شبوخ مكتبة الخانجي مصر 1968م،ط:2 ،ص:239.

[3] السيوطي جلال الدين ،صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ، تح:علي سامي النشار ،السيدة سعاد علي عبد الرزاق دم ،دس ،ص ص:53،54.

[4] دخل المذهب إلى إفريقية بعد أن بعث واصل بن عطاء عبد الل بن الحارث إلى إفريقية ،لينشر دعوته هناك داخل قبيلة البربر ومنها مزاتة زناتة وأوربة ،ينظرعبد العزيز المجدوب ،الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ،الدار التونسية للنشر: تونس،1975م،دط،ص:93.

[5] **بنوالأغلب**:هم من القبائل العربية التي كانت مضاربها بنجد لبعثة مُحَمَّد ﷺ وهم من بطن تميم العدنانية ،وهم ولاة بني العباس على إفريقية من بلاد المغرب وأول وليها من الأغالبة أبوهم الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن سوارة التميمي ،ولاه إياه أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسين سنة 148هـ،ينظر:أحمد القلقشندي ،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تح: ابراهيم الابياري دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان 1980م،،ط:2ص:40

[6] عبد العزيز المجدوب، الصراع المذبي بافريقية الى قيام الدولة الزيرية ،المرجع السابق،ص:319.

التي كانت في عهد زيادة الله 218هـ_232 [1]بعد أن أعلن معتقدات المعتزلة في القيروان وعيـــن أبا محرز قاضيا للقيروان [2]. فمكّن الأمراء الأغالبة لرجال كثيرين ،بعد أن درسوا المذهب على أيدي شيوخه مثل **سليمان بن أبي العصفور الإفريقي** المعروف **بالفرّاء** ،وهو أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي، لقب بشيخ المعتزلة في القيروان ،وعبد الله **ابن الأشج** الذي نشر الفكر الإعتزالي بعد أن نهل منه في العراق، ومُحَمَّد الكلاعي الذي عرف بمجاهرته بفكرة خلق القرآن،ومُحَمَّد بن الأسود الصديني الذي شغل منصب القضاء فعسف وظلم و الذي وصفه القاضي عياض [3]:"بأنه كان خبيثا معتزليا إمتحن كثيرا من الفقهاء .." .[4]

فما كان من علماء المغرب إلاّ أن جابهوا هذه الأراء ،فاشتدّت المواجهـــات بين الطرفيـــن الأحناف المعتزلة ومن وسايرهم من أمراء الأغالبة وبين طائفة الفقهاء المالكية بتأييد من العامة ؛خصوصا بعدأن فرض الإعتزال على الناس وكتبت سجلّات بخلق القرآن وأمروا بقرائتها على المنابر وأن يحمل الناس عليها .[5]

ومن هنا جاءت مقاومة علماء المغرب لرجال الإعتزال ،ولعلّ من بين الأوائل الذين جابهوا هذا المد ،البهلول ابن راشد إذ كان لايسلم عليهم ويعنف عليهم،فتبعه على ذلك تلاميذه من بعده أمثال الإمام سحنون بن سعيد الذي كان يقول إنما إقتديت في ترك السلام على أهل البدع والصلاة

---

[1] شمس الدين الذهبي،العبر في خبر من غبر ،تح :أبو هاجر مُحَمَّد السعيد البسيوني ،دار الكتب العلمية :بيروت لبنان 1985م ط:1،ص:293،384.

[2] أبو العرب تميم ،طبقات علماء إفريقية، المصدر السابق ،ص:164.

[3]**القاضي عياض** (476هـ_544هـ)هو أبو الفضل عياض ابن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ،ولد بسبتة 476هـ،وقرأعلى مشايخها القراءات والعربية وأصول الفقه وتفقه بالمذهب المالكي ،ينظر:القاضي عياض،الغنية،مق،تح:ماهر زهير جوار،بيروت لبنان:دار الغرب الاسلامي بيروت :،1982م،ط:1،ص:6.

[4]مُحَمَّد بن الحارث لخنشي ،طبقات علماء إفريقية ، تح:مُحَمَّد زينهم ،مُحَمَّد غرب ،مكتبة مديولي :القاهرة ،دس،دط ،ص:116.

[5]مُحَمَّدالطالبي ،تراجم أغلبية ،مستخرجة من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض،نشر الجامعة التونسية ،1968م،ط:1،ص:622.

خلفهم بمعلمي البهلول ابن راشـــد .[1] كما فعلوا ذلك حتى مع أصحابهم إذ علموا عنهم أنهم سلّموا على أهل البدع ،أو حضروا مجالسهم ،تماما مثلما فعل البهلول ابن راشد مع مُحَمَّد ابن الحدّاد عندما مرّ على هشام بن العراقي المعتزلي[2] وكان يعلّم في سقيفة فلمّا علم البهلول بذلك عنّف عليه وأغلظ وكذلك فعل علي ابن زياد مع ابن أبي محرز المعتزلي، الذي وقف عليه وهو يدرّس فقال للحاضرين :"شاهت الوجوه أمن هذا تسمعون ؟"[3]وفي منحى آخر نجدهم امتنعوا حتّى عن الصلاة على من عرفت عنه بدعة الاعتزال مجمعين في ذلك بعدم جوازه [4]ومن ذلك أصبحت أعظم تهمة توجه للرجل هي الإنتماء إلى الإعتزال فيصبح منبوذا لاقيمة له ولا يلتفت إليه ،كما أنهم إمتنعوا عن الصلاة خلفهم كما فعل لإمام سحنون وغيره الذي تعرض للمحنة بسبب تركه الصلاة خلف أئمة الاعتزال كابن أبي الجواد بحجة أنه كان يقول بخلق القرآن .[5]

وكان هذا منحى علماء كثر، حتى ممن نحا منهج أهل العراق في بعض الفروع ،كأسد بن الفرات الذي عرف عليه باجتهاداته الممزوجة بين أقوال أهل المدينة والأحناف فكان من أشدّ الناس على المعتزله ،إذ يذكر أنه جلس يوما يحدث الناس بحديث الرؤية[6] فأنكر أحد الحضور ذلك بدعوى أنّ المعنى الإنتظار لا النظر في سورة القيامة .فقام إليه ابن الفرات و أدماه ضربا تشنيعا له على ذلك. [7]

---

[1] أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد المالكي ،رياض النفوس من طبقات علماء إفريقية والقيروان ،تح:بشير بكوش،مر:مُحَمَّد العروسي ،دار الغرب الإسلامي تونس1994م،ط:2،ج:2ص:123.

[2] الخنشي ،طبقات علماء افريقية المصدر السابق ص:109.

[3] المالكي ،رياض النفوس ،المصدر السابق،ص:82.

[4] سليمان بن صالح بن عبد العزيز ،عقيدة بن عبد البر في التوحيد والإيمان ،دار العاصمة للنشر و التوزيع ،المملكة السعودية ، :1996مد:ط،،ص:654.

[5] الخنشي ، طبقات علماء افريقية المصدر السابق ،ص:108.

[6] الرؤية ،هي أمر مجمع عليه في الشريعة الإسلامية ونصوصها متواترة في الكتاب والسنة

[7] ابراهيم التهامي ،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة 2009م،جامعة أم القرى مكة،ص:488.

ووصل الأمر بالتّشديد على المعتزلة ونبذ معتقداتهم إلى أن يوصي من آيس الحياة بأن يكتب على قبره أنه كان بريئا من الإعتزال وأن القرآن كلام الله غير مخلوق حتى يسلم من هذه التهـــــــمة [1]وعلى هذا النحو درج علماء الأندلس أيضا والذين ساروا على نفس النهج في نبذ كل من له صلة بالإعتزال ،فهذا عبد الأعلى بن وهب جلبت إليه مطالعته لكتب الإعتزال المتاعب والخصومات من قبيل علماء عصره كيحي ابن يحي الليثي ت **244هـ**،وكذا هشام بن أحمد بن خالد الذي تركه الناس لإتهامه بالإعتزال وتأليفه كتابا في القدر والقرآن وذلك على جلالة قدره وعلمه الكبير [2]وبذلك تأخر دخول الإعتزال إلى الأندلس إلى القرن 3هـ ،على يد طبيب أندلسي لم يذكر إسمه ،رحل إلى المشرق وحضر مجالس العلم في العراق وعاد إلى بلده لينشرها ، منها كتب الجاحظ [3]وأمثاله كثر، كفرج بن إسلام القرطبي ،الذي لقي الجاحظ هو كذلك وأخذ عنه البيان والتبين وغيره من كتبه وأدخلها الأندلس رواية عنه[4]وكانت ردود المالكية على خصومهم تكتسي دروبا شتّى منها فن المناظرة الذي إشتهر به في هذا الوقت مُحَمَّد ابن سحنون وسعيد ابن الحداد اللذان أبدعا في المناظرة والتأليف في آن واحد ،ككتاب الحجة والقدرية وكتاب الرد على أهل البدع لمحمد بن سحنون الذي كان قوي العارضة في الجدل والمناضرة أيضا. [5]

إنّ هذه الجهود والأعمال التي قام بها علماء المغرب في مقاومة علم الكلام وما يتفرع عنه جرّ عليهم كثيرا من المحن والإبتلاءات فمنهم من ثبت وعلى كعبه زيادة على سابق فضله ومنهم من خمل ذكره بسبب تضعضعه في الثبات على المبادئ السنيّة ، هذا ما نستخلصه في العنصر الموالي في المحن التي نالتا إمام سحنون وأصحابه.

[1] الصراع العقدي في الفلسفة ،مجموعة مقالات ،نشر وزارة الشؤون الثقافية :تونس،1986م د.ط ص:34.

[2] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ،تح:إبراهيم الإبياري ،دار الكتاب المصري القاهرة،:1989م،ط:،2ص:129.

[3] إبراهيم التهامي ،المرجع السابق ص:199.

[4] ابن الفرضي ،المصدر السابق،ص:140.

[5] إبراهيم التهامي ،المرجع السابق ،ص:288.

إلاّ أنه لابد علينا من تساؤل يفيدنا في ربط هذا المضمون بالذي يلي وذلك :-إذا راعينا صلة الإعتزال بفرق الخوارج في بعض المبادئ كما ذكرنا – هل هذه الجهود وما سيعقبها من محن محى ذكر الإعتزال وإعمال العقل عموما في نصوص الشريعة وجوبه ذلك بالرفض الكلي ،أم أن الكرّة ستلي بعدما انفتح المغرب على الثقافة الواردة من الشرق من خلال رجال مكّنوا للعود مرة ثانية وما ابن تومرت إلاّ واحد منهم ،بعد أن وافقهم في التوحيد ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذان يعدان من أصول المعتزلة الخمسة [1].

[1] ابن خلدون المقدمة ،جزء :6،227

المبحث الثاني:

_ محن العلماء على عهد الدولة الأغلبية (180هـ –296هـ).

لقد تعرض علماء المغرب لمحن شديدة وقاسية من قبل أمراء الأغالبة ،الذين تأثروا بلإعتزال جرّاء تشدّدهم في الأراء التي كانوا يسعون لفرضها على الناس بمنطق القوة ،خاصّة مسألة خلق القرآن وذلك مبيّن في قول الدباغ:"إن أهل القيروان امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق وعزم مُحَمَّد بن الأغلب على قتل مُحَمَّد بن سعيد ،فما زال أهل القيروان على إعتقاد أهل السنة "[1]إلا أن الإشكال الذي يخدم موضوع المحن هاهنا هو: –إذا رأينا في العنصر السابق جهود العلماء العلماء المالكية في خدمة البلاد والعباد من خلال تفعيل المذهب على أرض الواقع في عافية من أمرهم بادئ ذي بدء– كيف ثبتوا على ذلك بعد أن دارت عليهم رحى العصا والسطوة الأغلبية ؟ هذا من جانب ومن جانب آخر كيف ساهمت هذه المحن في تثبيت العقائد السنية المشار إليها آنفا ،باعتبار أن المالكية كانوا ينفرون من وظائف السلطة ويسعون إلى تحقيق أقواتهم بالكد والجد في مباينة واضحة المعالم .[2]

وكيف استطاعوا أن يوفّقوا بين أحوال المذهب في الموافقة بين جور السلطان وعدم الخروج عليه كما فعل الخوارج آنئذ ،رغم مافرض عليهم من القرارات كخلق القرآن والإعتزال ،تأسيا في ذلك بالإمام مالك في الصبر على السلطان وإن جار وعسف وظلم؟

وكيف استطاعوا الحفاظ على روح الشريعة وسماحة الدين في خضم التشابك العقدي وتداخل حلقات الفكر بين الإعتزال ومبادئ الخوارج الإباضية في بعض المبادىء إن لم نقل جلها؟ [3] .

---

[1] الدباغ ، المصدر السابق ،ص:22.

[2] حفيظ كعوان،أثر الفقهاء المالكية الإجتماعي والثقافي باءفريقية من القرن 2هـ إلى 5هـ،مذكرة ماجستير :جامعة باتنة ،2008،ص:18،33.

[3] عبد اللطيف عبد القادر،تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره،دار الأندلس الخضراء:جدة :2000م ط:1،ص:383،322.

ونجد ممّن امتحن علنا: أبا جعفر بن موسى بن معاوية في مسألة خلق القرآن ،والذي امتحنه ابن أبي الجواد القاضي الحنفي المعتزلي بعدجوابه عن سؤال :ماتقول في القرآن ؟فقال:"سمعت فلانا وفلانا –وعدّ طائفة من العلماء– يقولون أن القرآن كلام الله غير مخلوق"[1] .

ولما تولي مُحَمَّد بن الأسود الصديني القضاء بالقيروان وهو الذي قال فيه القاضي عياض : "كان معتزليا خبيثا" كما تقدم، عسف وظلم وكان ممن امتحن على يده أبو جعفر القصـــري ت 322هـ وأبو اسحاق ابن البرذون إلا أنّ مدة هذا القاضي لم تطل فقد استجاب زيادة الله ابن العباس لرغبة أهل القيروان ،فعزله وكتب لهم كتابا فقال فيه وإني عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف وولّيت حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة. [2]

إلا أنه بعد إنتهاء هذه الفترة العسيرة ستليها فترة محن أعسر منها ،لنلمح من ذلك كله مدى تمكين تلك المحن للمذهب المالكي في إكتسابه طابعا قوميا .[3]

وممن إمتحن على أيديهم أيضا : إبراهيم بن مُحَمَّد الضّبّي ،فقد كان من أسباب قتله تأليفه كتابا يناقض فيه كتابا للكلاعي في القول بخلق القرآن ،فكان ذلك من الأسباب المباشرة التي قضي عليه بسببها حيث تولي الكلاعي وابن ظفر سفك دمه .

حتى سليمان بن عمران العراقي الذي كان تلميذا لسحنون والذي بعد وفاته تولى القضاء بمسعى من ابنه مُحَمَّد ابن سحنون ،فصار يطلب مُحَمَّدا وأتباعه وضرب منهم فرات بن مُحَمَّد ضربا شديدا والذي كان من الصلحاء والزهاد وممن امتحن على يديه مروان بن أبي شحمة المسيلي ت:424هـ.[4]

---

[1] االقاضي عياض،المدارك ،،مصدرا سابق ،ج:2 ص ص :5،9

[2] الخنشي ،المصدر السابق ،ص:170

[3] أحمد بن الحسن الشرجيلي ،تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية عصر المرابطين ،وزارة الشؤون والأوقاف :المملكة المغربية ،مطبعة فضالة ،دس ،دط،ص:100.

[4] ابو العرب تميم المحن ،مصدر سابق ،ص:459.

كما نجد أن هذه المحن قربت الفقهاء من العامة ،فألانوا لهم جانب العطف ومن أمثلة ذلك لمآ إشتط الولاة في فرض الجبايات والمغارم ثار فقهاء المالكية في وجوههم مدافعين عن الرعية ،وفق ماتمليه الشريعة وأن هذا ليس من الدين ولا من أخلاق المسلمين ،وبالتالي حببت هذه المواقف فقهاء المالكية الى الرعية وقربّتهم إلى قلوبهم وأخذوا بسيرهم وإلتزموا مذهبهم وخذلوا غيرهم من أصحاب المذاهب، إذ لم يكونوا أهلا لحيازة ثقتهم لما لاحظوه من تواطئ مع الحكام وتساهلهم في الشريعة .[1]

فتحقّق لديهم أنّ ماعليه المالكية هو الصواب وهو الواجب اتّباعه والركون إليه، بالإظافة إلى أنّ هؤلاء الفقهاء المالكية فعلوا ما بوسعهم ليتهربوا من وظائف الحكام .[2]فضيّقوا التعامل معهم كرفضهم القضاء مثلا .... [3]واستخدمون في ذلك ضروبا من الحيل للتخلص من هذه المناصب [4].

صحيح أن المالكية بعضهم قبل تولي القضاء ،لكن نجدهم قبلوه بشروط كان الحكام ينزلون عندها على طلباتهم كإطلاق اليد في مطلق التصرف في الأقضية مثلما فعله سحنون وما إشترطه على مُحَّد بن الأغلب [5]وكان القاضي عيسى بن مسكين الذي أرغمه الأمير ابراهيم الأغلب على القضاء قد قبل بعد أن رفع إليه مطلبه في جعل كل من حاشيته وجنده وحشمه في مرتبة واحدة ،إلا أن هذه المواقف لم ترض الحكام الولاة فالتفوا إلى غيرهم واعتمدوا عليهم في الأقضية والأحكام يحكمون بحكم موافقتهم لهم .[6]

إلاّأن المالكية تصدّوا لهم بالنقد والتجريح فيما يعرف بالمناظرات والردود، إنحاز فيها الأمراء إلى فقهائهم ضدّا على المالكية وبدورها–هذه المواقف– جرّت عليهم الكثير من المحن فتعرّضوا لأقصى

[1] ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب،تح :بشار عواد معروف دار الغرب الاسلامي تونس ،2013،ط:2 ،ج:1،ص:155.

[2] حفيظ كعوان ،مرجع سابق،ص:.33

[3]الخنشي ،مصدر سابق ،323.

[4]االقاضي عياض، المدارك مصدر سابق ،ج:2ص:232

[5] ابن عذاري المراكشي ،البيان المغرب ،المصدر السابق،ج:1ص:189.

[6]إبن عذارى المراكشي المصدر نفسه ،ج:1ص:199

العقوبات ولم يأتهم هذا البلاء من الأمراء وحدهم بل لحقهم حتى من الفقهاء الأحناف المخالفيـــن لهم في المذهب ويصور لنا الخشني ذلك قائلا :"..... إنه أستطيل على طبقة المدنيين وضرب جماعة منهم في هذا العصر...بسببهم... " .[1]

وممن امتحن أيضا أكثر من مرة أبو العباس عبد الله بن طالب التميمي ت:275هـ بسبب إعتراضه على ماشرّعه إبراهيم ابن الأغلب من الفسوق والفجور والإستطالة على الرعيّة فما كان منه إلاّ أن عزله وحبسه وأوكله إلى قاضيه بن عبدون الذي أوكله بدوره إلى السودان الخدم فركضوا بطنه حتى مات [2].

ونقس الأمر حصل مع أبي جعفر أحمد بن متعب بن أبي الأزهر فضربه ونكّل به وأدماه يحي بن عمر الكندي (213هـ-289هـ)والذي وصفه الخنشي أنه كان شجى في حلق العراقين وقذى في أعينهم .فكان ذلك سبب اضطهاده. [3]

وإمتحن البهلول ابن راشد من ذي قبل على يد العكي، الذي أمر بتقيده وضربه بالسياط وحبسه ولما امتنع سحنون أيضا عن الصلاة خلف بن أبي الجواد ووصفه بأنه فرعون هذه الأمة وجبارها [4] بلغ الخبر زيادة الله فأمر أن يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ،غير أن الوزير تلطّف وحال دون ذلك .

وكذلك أبو الوليد عباس بن الوليد الفارسي دخل عليه جيش زيادة الله بن الأغلب وهو في داره فقتلوه وقطعوا رأسه [5]وامتحن أيضا أحمد بن نصير في عهد زيادة الله ،على يد أسحاق بن أبي

[1] الخنشي ،الطبقات ،المصدر السابق ،:ج:4، ص:187

[2] القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،مصدر سابق،ص:327.

[3] الخنشي، الطبقات المصدر السابق،،185.

[4] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب ،المصدرالسابق ج:2،ص:109

[5] المالكي ،رياض النفوس، المصدر السابق ،169

المنهال وهو من القضاة الأحناف لأنه كان ينبّهه على خطأه وسوء فعله[1]كما ضرب أبو اسحاق إبراهيم ابن البرذون بالسياط ،[2]وامتحن أيضا أبو جعفر القصري على يد القاضي الصّديني حيث أنه حبس بدعوى مفادها أنه إنتقص من قدر أبي حنيفة رحمه الله ،وكذلك امتحن أبو موسى بن معاوية الصمادحي لما سئل عن القرآن الكريم فأجاب بأنه سمع جماعة من أهل العلم يقولون :من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر. [3]

واذا كان بنوا الأغلب امتنعوا أحيانا عن إظطهادهم للمالكية فنجدهم لجؤوا إلى ذلك لا رغبة فيهم أو رحمة بهم وإنما بسبب صمودهم وخشية من العامة في إجراء الهدف منه الحفاظ على الأمن وإستقرار الوضع ،مثلما حدث مع زيادة الله بن الأغلب عندما عزل الصديني وولّى مكانه حمّاس ابن مروان الهمداني كان القصد منه إستمالة العامة وإستجلاب عطف الفقهاء .[4]

فكان من نتائج هذه الإبتلاءات والمحن بأن وصفهم الدباغ في قوله :"قوم إيمانهم كالجبـــــال "،على خلاف بعض الشافعية الذين آثروا السلامة وقبلوا بالإندماج مع الإستفادة من بعض المكاسب كعبد الملك بن مُحَمَّد الضبّي وهو شافعي المذهب غلب عليه جب الدراهم فتشرق أي اتّبع مذهب المشارقة من أهل الأغتزال [5]وذلك حتى يتاح له العمل بكتابه الوثائق ،قال الخنشي عنه أنه ممّن أثرى واكتسب بما إلتزمه من أخذ الدراهم في كتابة الوثائق [6].

دون أن ننسى أن هناك من غير المالكية من ناله مثلما ألم بهم من المحن والرزايا على يد بني الأغلب ومن أمثله ذلك مُحَمَّد بن المنيب الأزدي كان على مذهب أهل العراق وكان من أهل الخير

[1] الخنشي،الطبقات المصدر السابق ،ص:321

[2] القاضي عياض ،ترتيب المدارك ،المصدر السابق ج:2 ،ص:96

[3] المصدر نفسه ج:3،ص:102

[4]انفسه ج:3، ص:107.

[5] الدباغ ،معالم الايمان،المصدر السابق ،219.

[6] الخشني ،ا الطبقات لمصدر السابق ص:200

والصلاح [1]إذ رفض منصب القضاء وأخذ حظه من العذاب والسجن وابن أبي المنهال من شيوخ الأحناف دارت عليه دائرة الظلم فعذّب وضرب ،وكذا أبو العباس التستري الشافعي الذي عذّب وأخذ ماله [2].

إذًا لم يتعرض المالكية في الغرب الإسلامي على إمتداد تاريخهم الحافل إلى تحدّ وإمتحان أعسر من الذي تعرض له المالكية بإفريقية على يد بني الأغلب .

دون أن ننسى أنّ المالكية بإفريقية كانوا يفتحون الحوار الفقهي أمام الأحناف ويبادلونهم الأخذ والعطاء من ذلك مجلس أسد بن الفرات [3] الذي ضمّ المالكية والأحناف على السواء وكان كلما إسترسل في سرد أقوال الحنفية نبهه المالكية لإيقاد القنديل الثاني وعليه نستطيع القول بأن التعايش المذهبي في إفريقية ظاهرة فريدة من نوعها في الغرب الإسلامي لكن هذا التفاهم والتسامح كان في نطاق فروع الفقه أمّا في مجال أصول االإعتقاد فقد كان مالكية إفريقية أكثر صرامة وأقوى إنتصارا،ولا يساومون في ذلك[4].

ومن خلال ماسبق ذكره نخلص إلى جملة من الإستنتاجات للمبحث نوردها في ما يلي :

ذابت دولة بني الأغلب رغم ما امتلكته من قوة ومن سطوة في تمرير مذاهبها العقدية على أرض المغرب والتي كان من بين أسباب سقوطها فقدها للسند الشعبي مع بداية الزحف العبيدي ، فتشرّق جلّ أهل الإعتزال بغضا في المالكية وتحصيلا لأغراضهم ومطامعهم .[5]

---

[1] ابن عذارى المراكشي المصدر السابق ،ص:142.

[2] الخنشي ،الطبقات ،المصدر السابق ،ص:232.

[3] **أسد ابن الفرات** :ت 201هـ من أعلام السنة في هذه الفترة كان على مذهب السلف في الأسماء والصفات ومجابها لأهل الإعتزال في قضية خلق القرآن والرؤية على مذهب أهل السنة في ذلك كله.ينظر: المالكي ،رياض النفوس،ص:265،264

[4]ابو عبد الله مُحَمَّد بن احمد المقدسي البشاري ،أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ،مكتبة مديولي ،القاهرة 1991م،ط:1،ص:225..

[5] القاضي عياض ترتيب المدارك ،المصدر السابق ج:3،ص:26.

وبتوافق الشيعة [1]مع أهل العراق [2]في بعض المسائل كمسألة التفضيل والرخص في المذهب[3]ستصبح بعد ذلك الحرب ضروس بين المالكيية والعبيديين تلبس ثوبا آخر لا بين سنة وبدعة وإنما بين إسلام وكفر ،إذ لم يترددوا في تكفير بني عبيد كما سنرى كما لم يتورع العبيدون في سفك الدماء وإباحة من تخلف عن البيعة ودخوله في الدعوة ليصبح مذهب مالك رحمه الله في خضم هذه الأوضاع العسيرة هو الإسلام نفسه في المنطقة [4]فما لبث المالكية أن خرجوا من فلك المحنة الأغلبية إلى أن وجدوا أنفسهم في محنة أشد وأعسر من سابقتها ،وهو ما سنتطرق إليه في محنة العلماء المالكية على العهد العبيدي.

[1] **الشيعة** :يرى ابن خلدون انهم الصحب والأتباع ،يطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين عن الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه ﷺ أما الشهرستاني فيقول أنهم اللذين شايعوا علي ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ،إما جليا وإما خفيا وإعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ،ينظر:،الشهرستاني ،الملل والنحل ، مصدر سابق،ج:1،،ص:146.

[2]عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي،تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة ،مرجع سابق ،ص:390ا

[3]مُحَمَّد بن الحسن شرحبيلي ،مرجع سابق ،ص:108

[4] نفسه:ص:139.

المبحث الثالث :

_ محن العلماء على عهد الدولة العبيدية (296هـ-361هـ) :

يقول الدباغ في معالم الإيمان:"جزى الله مشيخة القيروان خيرا ،هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة ،رحمهم الله ورضي عنهم "[1]

من خلال قول الدباغ هذا نرى أن الجهد الجهيد الذي أداه علماء القيروان[2] ومشايخها حري بأن يكفل إستمرارية المذهب المالكي وأحقيّته بذلك دون غيره من المذاهب ،فبعد أن دخل عبيد الله الشيعي القيروان أخذ في تفعيل أجندته محاربا لكل من يلتمس فيه العداء لمذهبه، فبادر إلى فئة الفقهاء ،فاظطهدهم ونكّل بهم ولم يستثن منهم إلا من أعلن الولاء وداهن ... وعلى أساس هذا التقديم نطرح الإشكال التالي:كيف ساهمت المحن في التوطين للمالكية في المغرب الاسلامي دون غيرها من المذاهب ،ومامدى تأثير هذه المحن على البناء الحضاري المغاربي في المراحل اللاحقة .؟

عرفت المواجهة بين العبيدين[3] والفقهاء في القيروان ضروبا عدة ،لعل أبرزها ثلاثة أصناف ، فصنف منهم آثر الهجرة والإنزواء على أن يمك بين أظهرهم وصنف قاوم وصمد مواجها لسياسات

---

[1] شمس الدين الذهبي ،سير أعلام النبلاء، تح :مجموعة من الباحثين ،مؤسسة الرسالة بيروت ،:،1982م،ط:2،ج:14،ص:196

[2] **القيروان**:مدينة كبيرة أسسها عام 52هـ عقبة ابن نافع في عهد الخليفة عثمان بن عفان ،تقع على سهل شاسع الأطراف ويؤكد المؤرخون العرب أنها من أجمل المدن التي بناها بافريقية ،ينظر: القيروان مرمول كربخال ،تر:عمد زنيبر ،دار المعرفة الرباط،1889م، د:ط ص:97.

[3] مؤسسها هوسعيد بن الحسين بان بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح بنبن ديصان الثنوي الاهوازي وسعيد هذا تسمعى بعبيد الله عندما أراد أن يظهر دعوته وينشرها ونسبه مجوسي لا أصل له بآل البيت وهو ما ذكر ابن خلكان في الوفيات :والجمهور على عدم صحة نسبهم وأنهم كذبة أدعياء لا حظ لهم في نسبة المحمدية ،ج:3،ص:118.وقال الذهبي في العبر :"المهدي عبيد الله والد الباطنية العبيدة إفترى أنه من ولد جعفر الصادق ،ج:2،ص:199. قال السيوطي في تاريخه ولم اورد أحد من الخلفاء **العبيدين** لأن خلافتهم غير صحيحة ... سماه بالفاطمين جهلة العوام ،وقد ذكر ابن كثير ، في البداية والنهاية ،ج:11ص:346،في الربيع الآخر من 402هـ كتب جماعة من العلماء والقضاء والأشراف والمحدثين وشهدوا جميعا أن العبيدين لانسب لهم في ولد علي وأن الذي إدعوه باطل وزور وأن حاكم مصر وسلفه كفار فسقة ملحدون معطلون للإسلام .

السلطة العبيدية فنال من المحن حضه، وصنف داهن فتهجنت صورته أمام غيره من الفقهاء وتغيّرت مكانته عند العامة وخمل ذكره كما سنرى.

وقبل البدء في هذا كله ننوّه كبند عريض أنّ العبيدين منعوا الفتوى بمذهب مالك وقصروها على مذهب أهل البيت فما كان من الفقهاء إلا أن يدرّسوا مذهبهم مستقبلين العامة في ديارهم ودكاكينهم [1]وبعد توالي الأحداث وما آنسه الفقهاء من جراء هذه السياسات أفتى فقهاء المالكية عملا بسد الذرائع بتكفير من يتّبع مذهب العبيدين ولو مكرها وإن كان قلبه مطمئن بالإيمان[2]وكان هذا ردّا على فتاوي سئل فيها الفقهاء المالكية [3]فأجابوا: لايعذر أحد في ذلك لأنه أقام بعد علمه بكفرهم وإرتدادهم وزندقتهم ، فمن جملة من آثر الفرار بدينه نذكر :

أبا مُحَمَّد بن يونس بن مُحَمَّد الورداني ن 299هـ،الذي كان قد فرّ بدينه راعيا للبقر طوال نهاره عاكفا على تلاوة القرآن حتى لقي ربه على ذلك متخذا ذلك مشغلا له على ان يرى مالايرضيه من مروق العبيدين [4].ومنهم إبن الخراز المليلي ت 330هـ ،الذي كان عظيم القدر جليل الفضل ،آية في الرواية وحفظ الأخبار ،وكان قاضيا بمليلة فكان من أمره أن هرب إلى قرطبة خوفا من جند العبيدين الذين كانوا يلاحقونه [5]ومنهم أيضا أحمد بن نصر الداودي الأسدي ت 402هـ،أصله من المسيلة وكان فقيها متمكنا متفننا له كتب: "الواعي في الفقه""النصيحة في شرح البخاري "،القاضي في شرح الموطأ"،والذي كان ينكر الإقامة مع بني عبيد باعتبارهم كفارا.

وهناك صنف آخر آثر المقاومة والإستماتة على ذلك في سبيل الله على الهرب ،فذهب عدد كبير منهم وفق هذا المنحى والتحقوا بركب الشهادة ،يقول أبو الحسن القابسي :"إن اللذين قتلهم

[1]مثلما حدث مع ربيع القطان ت 333هـ والذي كان يقرأ في دكانه الذي يبيع فيه القطن إمعانا في التستر والتخفي

[2]،الدباغ ،معالم الايمان مصدر سابق،ج:3،ص:34

[3]منهم أبو مُحَمَّد إبن أبي زيد القيرواني ،وأبو القاسم من شبلون وأبو الحسن

[4] المالكي ،رياض النفوس،مصدر سابق،ص:42

[5]ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس،مصدر سابق ،ص:21.

عبد الله وبنوه أربعة آلاف في دار النحر تعذيبا بين عالم وعابد وصالح وذلك ليردّهم عن عدم الترضي على الصحابة فاختاروا الموت والشهادة" [1]وكان الذي يتولى مهمة التنكيل بالعلماء مُحَمَّد بن عمر المروزي الذي بادر في بدء أمره إلى عبيد الله الشيعي ودخل في دعوته والتزم طاعته فولاه قضاء إفريقية ،فتصلّب وتجبّر ونال من أهل السنة وعذّبهم وأخذ أموال الأحباس والحصون .

ونذكر في هذا الصنف وإن كان عددهم كبير ولا يحصى –لعلنا نقف عند الاهم – ابن البرذون ت 299هـ [2]وابن الهذيل أبو بكر وكان أمرهما أن قتلا معا ،والسبب أن ابن البرذون كان يقول :"..كان علي يقيم الحدود بين يدي عمر ابن الخطاب ويعينه أموره ،فلو لم يكن عنده إماما مسستحقا لتقدمته مافعل... "،وكان إبن هذيل بدوره يروج للقول ابن البرذون وينشره في الناس فأرسل عبد الله من يأتيه بهما وحملهما على أن يشهدا أنه رسول الله فأبيا ذلك [3]فأمر بقتلها بعد ربطهما إلى أذناب البغال وقيل أن ابن البرذون لما جرّد للقتل خيّر أن يرجع عن قوله أو بعض عنه فأجاب أعن الإسلام تستيبني؟

ومن هذا الصنف أيضا أبو جعفر المعافري ت 301هـ،[4]الذي أمر عبد الله الشيعي بقتله ،فطرح أرضا ورفسه السودان بأرجلهم حتى مات رحمه الله وكان سبب ذلك مخالفته الشديدة لهم [5]ومنهم الإمام إبراهيم بن عبد الله الزبيري ت 359هـ،والمعروف بالقلانسي سمعى من حماس بن مروان مروان ومُحَمَّد بن عيادة السوسي [6]وامتحن على يد أبي القاسم بن عبد الله الشيعي حيث ضرب

---

[1]الدباغ ،معالم الايمان ،المصدر السابق ،ج:3،ص:34

[2]هو الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق **ابراهيم بن البرذون** الإفريقي كان من كبار الفقهاء المالكية بالقيروان

[3] الدباغ ، معالم الايمان المصدر السابق ،ص:262

[4]**هو أبو جعفر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خيرون الأنلسي القبرواني** رحل الى العراق طالبا للعلم وهو من دخل بقراءة نافع الى القيروان بعدما كان الغالب عليها قراءة حمزة وادخل مذهب داوود الظاهري إليه ،ينظر مُحَمَّد محفوظ تراجم مؤلفين أندلسين ، ،دار الغرب الإسلامي :19982م ،ط:1ص:412.

[5]الدباغ ، معالم اليمان المصدر السابق ،ص:262.

[6]القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، المصدر السابق ،ج:4،ص:524.

سبعمائة سوط وحبس مدة أربعة أشهر وذلك لتأليفه كتاب الإمامة وكتاب الرد على الرافضة [1] ومنهم عبد الله بن التّبان ت 317هـ،أبو مُحَمَّد عبد الله بن اسحاق بن التّبان كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت إليه أكباد الإبل من الأقطار لعلمه بالذب عن مذهب أهل السنة [2] والردود على أهل البدع مثل المناضرة المشهورة في أفضلية أم المؤمنين عائشة و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم [3].

وكان من أمره أن فدى بروحه حفاظا على غيره من العلماء وذلك بعد أن إجتمعوا في دار ابن أبي زيد وقال لهم أنا أمضي الى السلطان وابيع روحي لله دونكم لأنه إن أتي عليكم وقع على الإسلام وهن عظيم ،وبعد هذه المناضرة عرضوا عليه نحلتهم فأجاب أنه يستحي من ذلك وقال :"...والله لونشرتمـــوني بين إثنين مافارقت مذهبي..."[4]

فهذه جملة من العلماء الذين رضوا بمقاومة تيار التشيع وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس فكانت عاقبتهم أنهم عذبوا وسجنوا وهناك صنف منهم رضي بالواقع من أجل العيش آمنا بين أظهر بني عبيد وإن كانوا قد آمنوا مكر الشيعة أصبحوا مهجورين من قبل علماء السنة ،مثل خلف بن أبي القاسم البراذعي ت 400هـ من كبار الفقهاء المالكية بالقيروان ،أخذ عنه ابن أبي زيد القيرواني والقابسي قبل هذه الفتنة [5] قام عليه فقهاء القيروان لصلته بملوك بني عبيد وقبوله هداياهم وتأليفه كتابا كتابا لتصحيح نسبهم وكان من ذلك أن أفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها وإزاء ذلك إظطر للهجرة إلى صقلية . وعن قتال العبيدين نذكر ماأفتى به جبلة بن حمود الصدفي الذي ترك رباطه ونزل بالقيروان وقال: "...كنا نحترس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو ساحتنا وهو

---

[1] مُحَمَّد محفوظ تراجم المؤلفين التونسين مرجع سابق ،ص :412.

[2] ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح : مُحَمَّد الأحمدي أبو النور ،دار التراث للطباعة والنشر : القاهرة ،ج:1،ص:431.

[3] الدباغ المصدر السابق ،ج:3،ص:39.

[4] المصدر نفسه ،ج:3،ص:100.

[5] القاضي عياض ، ترتيب المدارك مصدر سابق ،ج:4،ص:708.

أشدّ علينا من ذلك وقال :"..جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك.."[1]وكذلك الإمام أبو القاسم الحسن بن مفرج ت 309هـ،الذي كان من أوائل من خرج على الشيعة ومات شهيدا ،قتل من قبل عبيد الله المهدي وصلب. [2]

لقذ أصدر كبار العلماء وجوب قتال العبيدين كأبي ربيع بن سليمان بن عطاء القرشي النوفلي المعروف بربيع القطان ت 333هـ وأبو العرب تميم بن تمام التميمي ت 333هـ.وأبو إسحاق إبراهيم أحمد السبائي المتعبد :ت 356هـ،وأبو عبد الملك مروان نصر الخياط الزاهد ت340هـ وأبو عبد الله مُحَمَّد بن الفتحة المؤدب ت :334هـ وغيرهم كثير .فيْ اجتماع كان الرئيس فيه والمرجع الذي يرجع إليه في الملمّات هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس الممسي وذلك حول شرعية الخروج مع أبي يزيد مخلد بن كيداد أو صاحب الحمار الذي كان قد سيطر على معظم البلاد ،وزعم أنه سني مظهرا التنسك والعبادة لابسا جبة الصوف ويركب الحمار وكان يبطّن مذهب الصفرية والخوارج [3].

وكان خروجهم من هذا الإجتماع وجوب الخروج مع هذا الأخير وقد كان رأي أبي العرب في استطراد حديث من فضائل الأعمال يرويه عن مسند الإمام أحمد في قتال الرافضة فما كاد يتم الحديث حتى كبّر الناس وعزموا على فعلهم مستبشرين بذلك وعقدت الأولوية والشعارات في النّيل من بني عبيد والإنتصار لأهل السنة وكانت إستجابتهم له لدوافع منها:

_ أنه خدعهم بلطف قوله وخطابه ،فبعد أن دخل القيروان أثنى على أهلها وترحم على الصحابة أبي بكر وعلي وعثمان وعلي ،وأمرهم بقراءة مذهب مالك ،كما أظهر العداء للشيعة في خطبته التي لعن فيها عبيد الله وبنيـه.[4]

[1] الدباغ ، مصدر سابق ،ص:185.

[2] المالكي ، رياض النفوس ، المصدر السابق ،ص: 169،172.

[3] االقاضي عياض،ترتيب المدارك ، مصدر سابق، ،ج:2،ص:318.

[4] ابن عذارى ،البيان المغرب ،المصدر السابق ج:1،ص:217.

ـ والسبب الثاني :أن العلماء كانوا يرون أن العبيدين كفار وقتالهم واجب ،والخوارج من أهل القبلة وضررهم أقلّ في باب العقائد من بني عبيد.

فخرجوا لجهاد العبيدين وكان ممن استشهد ثمانون عالما من علماء القيروان ،وأظهروا شجاعة واستماتتة للذوذ عن بيضة الدين وكادوا أن يستولوا على المهدية لولا أن خدعهم أبو يزيد الذي أمر جنده بأن ينكشفوا عنهم بقوله:"إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فنستريح منهم.." [1].

وكان غرضه الإيقاع بالعلماء أولا، لأن أمر العامة سهل بالنسبة إليه في حملهم على مذهبه وإقناعهم [2]وفي ذكر هذا أيضا وجه من أوجه المحن التي لم يسلم منها العلماء المالكية في القيروان .

وبعد مقتل المروزي الذي كثرت الشكايات منه والتي لم يلق لها عبيد الله بالا إلا عندما قيل له أنه يطعن في الحكم وشرعيته حينئذ إستدعاه لما سمع منه الخبر بواسطة ابن أبي خنزير فقتله شرّ قتلة ،ويذكر الدباغ قصتة في ذلك أنه رماه في إسطبل مع الدواب لتمشي عليه فركضت بطنه حتى قتل بعد أن ضرب ألف سوط وكان قدطلب منه إخراج المال الذي جمعه من سطوته على الناس فاعترف هذا الأخير بمعصيته لله وظلم الناس ولم يخرج له شيئا من ذلك [3] وبالرغم من موت المروزي المتسلّط واصل عبيد الله ظلمه للعلماء المالكية لمآ رآهم خطرا على دولته ،والذين وقفوا في طريق دعوته وحرّضوا الناس على النّفور من بني عبيد وهذا المنطق صريح ،لأن غالبية السكان على المذهب [4].

[1] ابن عذارى ،البيان المغرب ،المصدر السابق ص:218.

[2] المصدر نفسه ،،ص ص:.219،220

[3] الدباغ ، المصدر السابق ، ج:2ص:199،

[4] الإصطخري، المسالك والممالك ،تح :مُحَمَّد جابر العال الحسني ،دار صادر بيروت،2004م،دط ،ص:37.

فقتل الكثير منهم بتهمة الطعن في سلطة عبيد الله فعاش فقهاء القيروان وعلماؤها أياما صعبة في عهد العبيدين وذلك أن خصومهم كانوا يلصقون بهم أبسط التهم فيعذّبون ويحبسون ويقتلون بأبشع الصور[1] .

ومن أوجه الظلم و التسلط ما لعبه إسحاق بن أبي المنهال قاضي المهدية في نفس الدور الذي لعبه المروزي قبله إزاء المالكية حيث أمتحن على يده نفر كثير وتكررت إذاياته بسبب إنتقاد بعضهم له مثلماحصل مع أحمد بن نصر بن زياد الهواري الذي كان ينتقده لقلة علمه ،وامتحن كذلك أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي لأنه كتب عقود النكـاح على مذهب مالك وأفتى بفتـــاويه [2]؛فالملاحظ أن التّهم التي كانت تلحق بالعلماء تكون معللة للفتوى بمذهب الإمام مالك وبالطعن على الدولة ،مثلما حدث مُحَمَّد بن العباس الذهلي سنة 311هـ،حيث ضربه القاضي النفطي قاضي عبيد الله على رؤوس الأشهاد في الجامع عريانا حتى سال الدم من رأسه بعد أن شهد عليه قوم من المشارقة بأنه طعن في نسب العبيدين ويفتي بمذهب مالك [3]ومثل ذلك حدث لمحمد بن العباس بن الوليد الزهري .ولم تكتف الدولة بذلك التنكيل بل عمدت الى مخلّفات الفقهاء بعد قتلهم ليباد مابقي من آثارهم كالكتب والأموال والديار فقد أخذ عبيد الله مخلّفات الفقيه سعيد المعروف بالوكيل والذي كان من أهل العناية بالحديث ومذهب مالك وكان من الأثرياء فنزل أتباع المهدي بداره فأخذوا أربعين ألف مثقال من الذهب سوى الجواهر و اللآلي وضرب أهله بالسياط [4]

كما أخذوا كتب الفقيه أبي مُحَمَّد بن عبد الله بن هاشم بن مسرور التجيبي ت 345هـ،والذي ترك سبعة قناطير من الكتب بخط يده ، فأخذت منه ومنع الناس منها [5]

---

[1] الدباغ المصدر السابق ،ص:

[2] مُحَمَّد الجودي ،تاريخ قضاه القيروان ،منشورات بيت الحكمة ،تونس 2004م،دط،ص:45

[3] القاضي عياض، ترتيب المدارك ،مصدر سابق ،ج:3،ص:345.

[4] الخنشي ، المصدر السابق .،ص:174.

[5] القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، مصدر سابق ،ج:3،ص:341.

كما استعمل العبيديون علماء الأحناف لإظطهاد المالكية وذلك نظرا لوجود تنافس قديم بينهما ،فأولوهم القضاء وضربوا بهم علماء المالكية [1]فوجد الأحناف في ذلك فرصة للنيل من المالكية الذين كانوا بالمرصاد لهم من قبل كالقاضي أبي إسحاق ابن أبي المنهال الذي كان على المذهب الحنفي قبل المذهب الاسماعيلي لذلك بالغ في إظطهاده لهم. [2].

وتجدر الإشارة أن المحنة لم تتنته برحيل المعز لدين الله الى مصر لأن خلاف المالكية مع الشيعة كان خلاف مبادئ لا خلاف أشخاص فقد استمر الحال مع بني زيري الذين لم يدخروا جهدا هم كذلك في نشر تعاليم المذهب ،على أن العلماء المالكية ظلوا أوفياء لمذهبهم فطالما بقيت المبادئ بقيت الصراعات قائمة معها أيضا.

وبدأت نتائج الصبر والكفاح تؤتي أكلها فقد نجح العلماء المالكين عن طريق التعليم في الوصول إلى أهدافهم المتمثلة في القضاء على المذهب الشيعي وذلك حينما أوكل باديس بن المنصور تربية ولده للفقيه المالكي أبو الحسن بن أبي الرجال الذي كان رجلا ورعا زاهدا [3]وماكاد المعز بن باديس يتولى الحكم بعد والده بسنة واحدة حتى هاج العامة بالشيعة وقتلوهم مقتلة كبرى وكان للفقهاء دور في هذه الثورة فهم الذين حرّضوا الناس عليهم وكان أولهم بن أبي الرجال هذا.[4]

وتلتها ثورات أخرى كثورة 417هـ وهكذا توالت الأحداث تتفاعل إتجاه القطيعة إلى أن توجت باعلان المعز بن باديس إنسلاخه من الولاء للعبيدين ولعنهم على المنابر سنة441هـ [5]

---

[1]والملاحظ أن من تشرق من المالكية لم يوله العبييدون الا المناصب التافهة فيما تولى المستشرقون من الأحناف مناصب إدراية لها قيمة كبيرة ،ينظر:السياية الداخلية للخلافة الفاطمية ببلادج المغرب الإسلامي،صالح مرمول،ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر،1983م،دط،ص:152.

[2]المرجع نفسه، ص: 156.

[3]ابن عذارى ،البيان المغرب ، مصدر سابق ،ص:273.

[4]علي بن مُحَّدابن الأثير ،الكامل في التاريخ تح:ابو الفدا عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1987م،ط:1ج:9،ص:132 .

[5]الدباغ مصدر سابق ،ج:3،ص:159.

لقد كانت هذه هي نهاية المحن والإبتلاءات لعلماء المالكية وصبرهم ومثابرتهم جراء الصراعات المريرة مع مختلف الفرق والمذاهب هذا ما جعل المذهب يتجذّر في نفوس أهل إفريقية عموما وعمق تأثير العلماء في نفوس العامة ومن هؤلاء العلماء في هذه الفترة نجد: أبا عمران الفاسي واسطة العبور نحو إزدهار رقعة أخرى من المغرب والتي لم تر كبير حظ مثل الذي شهدته القيروان والأندلس وذلك لعدم وجود دولة في هذه المنطقة كونها منطقة عبور الى افريقية والأندلس ،هذا ما جعل المؤرخين لا يذكرون عن هذه المنطقة إلا النزر القليل فلم يزدهر فيها العلم ولا نسب إليها العلماء إلا في فترة متأخرة ليتسنى لنا أن الدولة التي ستقوم بعد هذه الفترة انطلقت من العدم إن صح التعبير لضعف المؤثرات المعرفية أو بعدها عنها.

وبالتالي نجد أنّ القبول الذي لقيه المذهب المالكي جاء بصمود أعلامه رغم كل ما ناله من حزازات ومحن [1] وبالتالي اكتسى طابعا قوميا لسبقه و تماسك رجاله مع مراعاة خلو الساحة من غيره في تلك الفترة كنتيجة لذلك النفس العميق سواء بمرونة المذهب و أصوله او بصمود رجاله و تضحياتهم .

[1] حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب و الاندلس. دار الرشاد،القاهرة،2000م،ط:5 ،ج:1،ص:392

الفصل الثاني : محن العلماء على عهد الدّولة المرابطية .

(456-541هـ ... 1076-1146م)

- تمهيد :
- المبحث الأول: الأسس الفكرية لدولة المرابطين.
- المبحث الثاني : علاقة الفقهاء بالسّلطة في الدولة المرابطية .
- المبحث الثالث : موقف السّلطة المرابطية من التّصوف وعلم الكلام.
- المبحث الرابع : نماذج من محن المتصوفة على العهد المرابطي

تمهيد :

أضحت ظاهرة قيام الدول ونشأتها على مبدأ الدعوة والتعبئة وفق أطر فكرية معينة ، سارية ومستشرية في أعراف المجتمعات في العصور الوسطى ،إذ يقوم فيها المنظرون بوضع أسس وقواعد تكون بمثابة القالب الفكري الذي تسبك فيه انتماءاتهم العقائدية والفكرية .

ومن بين هاته المجتمعات التي نروم دراستها هاهنا وما اختصت به من تلك العقائد والأفكار نجد دولة المرابطين [1]التي كانت واضحة المعالم في رسم سياساتها العامة وفق مشروع دعوي بالدرجة الأولى أملته ضرورة الظرف وخصوصية التّلقي، ولندرس فحوى هذا الطرح ببعض من التفصيل نطرح الإشكال التالي: ماهي الأسس الفكرية التي رسمت عليها الدولة المرابطية مشروعها الاصلاحي؟.

[1] **المرابطون** إشتهروا أيضا باسم الملثمين و قبائل صنهاجة اللذين أصبح اللثام شعارا لهم ويرى بعض المؤرخين أن الملثمين ينتسبون إلى قبيلة لمتونة إحدى قبائل صنهاجة وكانت لمتونة تتولى رئاسة قبائل مسوفة ومسراتة وجدالة ولمطة وغيرها ،سكن الملثمون الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جبل درن شمالا إلى أوساط الصحراء الكبرى جنوبا ،ينظر:مُحَمَّد علي الصلابي ،دولة المرابطين في الشمال الإفريقي ،دار المعرفة :بيروت ،،2009م،ط:3ص:16.

المبحث الأول:

-الأسس الفكرية لدولة المرابطين:

سعى المرابطون إلى تأسيس مجتمع إسلامي مبني على أصول سنيّة بحتة، لذا رأوا أن من نجاح مشروعهم نبذ العلوم المحدثة التي على رأسها علم الكلام والفلسفة ومطاردة أهلها إن جاهروا بأرائهم[1]وقد كان المذهب العقدي في فترتهم هو مذهب أهل التسليم والتفويض، وتميّز أهل المغرب بكرههم الشديد لكل العلوم العقلية المخالفة لمنهج أهل السلف [2]وللإشارة لم يكن الفكر العقدي في العهد المرابطي أكثر إنفتاحا على الروافد و المؤثرات الخارجية لذلك كانت المقاومة شديدة لعلم الكلام وأهله وذلك ما صوره المراكشي في قوله :"إنّ أهل ذلك الزمان دانوا بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شـــــيء من علوم الكلام "[3]إلّا أنّ هذا الوصف جرّ عليهم انتقادات لاذعة تتلخص في حملة إتّهامهم بالإنتصار للفقه ونعتهم بالتّحجّر والجمود، ويبدأ هذا الإتهام حلقاته مع خصومهم الموحدين، بالخصوص على يدّ مؤرخهم عبد الواحد المراكشي ثم إنتقلت إلى بعض الأندلسين أمثال القلقشندي وإستمرت على هذا النحو إلى أن تلقّاها المستشرقون فيما بعد ليلفّقوها بالموضوعية والحيادية؛ يقول المراكشي في المعجب :"فلم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلّا من علم علم الفروع ،أعني فروع مذهب الإمام مالك فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ماسواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ،فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الإعتناء ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه

[1] دي بور ،تاريخ الفلسفة في الإسلام ،تر:مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة ،درالنهضة :بيروت،لبنان،1981م،ط:1،ج:5،ص:365.

[2] إبراهيم التهامي ،مرجع سابق،ص:36.

[3] عبد الواحد المراكشي،المعجيب في تلخيص اخبارالمغرب من لدن فتح الاندلس الى آخرعصر الموحدين،تح:صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية،بيروت لبنان2006م،ط:1 ،ص :254.

الخوض في شيء من علوم الكلام وقرّر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح أي شيء من علوم الكلام لكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وأنه بدعة في الدين".. [1]

ونفس الأمر نجده عند المستشرق **بالثنايا** في تاريخه إذ يقول:" إنّ الحياة الفكرية تدهورت في الأندلس المرابطية بسبب سيطرة الفقهاء"[2]

أمّا المستشرق **أشياخ** فيتحدث عن ذلك ويقول أن المرابطين اضطهدوا كل ماعنيت الدول العربية بتشجيعه من قبل ،وطاردوا العلوم الفلسفية والكلامية التي تنكرها التعاليم المرابطية وحظروا قراءة الكتب التي تحتويها وأحرقوها علنا [3]ويظيف في موضوع آخر من تاريخه "...ظهر المرابطون من بين سكان الصحراء البدو الساذجة فكانوا أعداء لكل حضارة عربية ومن ثم كانت حكومتهم كريح الصحراء اللّافح حيث يهب على الغياض لتحطيم جميع العلوم والفنون ...وكان أولئك الحكام القساة يمقتون القبائل العربية وثقافتها ويعملون على سحق هذه الثقافة بكل ماوسعوا فكانوا يطاردون العلماء واللذين ينحرفون عن معتقدهم ويحرقون كتبهم...."

إلاّ أنّ هذه الأقوال تجد ردودا أكثر منطقية وواقعية منها أنّ التّيار الفقهي والمتمثل في المذهب المالكي ،كان موجودا من قبل فترة المرابطين ودرج على التطور في قرونه الأربعة الأولى أيمّا تطوّر كما رأينا في الفصل الأول.إذ لم يزل المغاربة على الإلتزام به لأسباب ترتبط بعملية فكرية تاريخية طويلة

[1] عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق ،ص:254.ومن بين من تأثر به وأخذ عنه راتهارت دوزي الذي أبغض المرابطين بغضا شديدا وسل لسانه عليهم وكان يكره رجال الدين ،ينظر: حسين مؤنس،سبع وثائق جديدة عن دول المرابطين،مكتبة الثقافة الدينة للنشر والتوزيع : القاهرة ،مصر،2000م ط:1،ص:5.

[2] انخل بالنثيا جنثالث ،تاريخ الفكر الاندلسي، تح و تع: :حسين مؤنس ،مكتبة الثقافة المصرية،القاهرة.د:س،د:ط.ص:20

[3] يوسف أشباخ ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،تح::مُحَمَّد عبد الله عنان ،مكتبة : الخانجي القاهرة :1996م،ط:2،ج:2،ص:233.

ستحيد بنا عن صلب الموضوع إن أخذنا بها ،فكلّ مافعله المرابطون هو أنّهم عمّموا نشره واتّخذوه دليل عمل لحركتهم الإصلاحية [1].

وتظهر تجليّات هذا التمذهب والتأطير في نجاحهم في تأسيس دولة بأتمّ المعنى على رقعة واسعة بعدما كانت المنطقة لا تعرف سوى غير نظام الإمارات الموزعة هنا وهناك على أساس أسري أو قبلي، فتمذهب المرابطون بالمذهب المالكي أصولا،كان له عدة عوامل أهمها قابلية المناخ الفكري الذي لم يفسح المجال للمذاهب الفقهية الأخرى لحاجتهم الأوّلية إلى تثبيت قواعد الدين ومبادئه لا المناظرة و الجدل ولعلّ رحلة الإتصال بين يحي بن إبراهيم الجدالي وبين أبي عمران الفاسي تعبّرعن ذلك من خلال قوله:"إننا في الصحراء منقطعون لايصل إلينا إلاّبعض التّجار الجهال حرفتهم الإشتغال بالبيع والشراء وفينا أقوام يعزمون على تعلم القرآن وطلب العلم ويرغبون في الفقه والدين لو وّجدوا إلى ذلك سبيلا.... "[2].وليس يخفى أنّ المذهب المالكي باعتماده على النص والنقل واستبعاده للمنطق والقياس المفرطين ،كان أكثر من غيره في قدرته على تحقيق هذا الهدف. [3]

كما أنّه لابدّ علينا أن ننوّه أنّ قادة هذا التيار الإصلاحي انطلقوا من منطلق ديني بحت لا يقتصر على الفقه المالكي في آلياته فحسب بل إن أعمدته كأبي عمران الفاسي ووجاج بن زلوا وعبد الله ابن ياسين على وفرة رصيدهم بالفقه كانوا على علم بالأصول والإعتقادات الأشعرية باعتبارهم شيوخ لسلسة من علماء الأشاعرة وعلم الأصول[4] ،إلاّ أنّ خصوصية التّلقي المعرفي وخصوصية حقل الدعوة حالت دون حظور قوي للأشعرية في الدعوة المرابطية الفتيّة،

---

[1] مُحَمَّد محمود عبد الله بن بيه ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ،رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، :1997م،ص:120

[2] القادري بوتشيش ،المغرب والأندلس في عصر المرابطين _ المجتمع،الذهنيات ،الأولياء_ دار الطليعة للنشر والتوزيع :لبنان 1993م،،ط:1،ص:79

[3] مُحَمَّد بن حسن الشرحبلي، المرجع السابق،ص:104..

[4] عبد الله العروي ،مجمل تاريخ المغرب،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ،1996م،ط:5 ،ج:2،ص:112.

فقد أخذ الفاسي عن الباقلاّني علم الأصول والمناظرة وقد عرف ذلك أيضا عن أبي الحسن القابسي رغم أن القابسي لم يكن تلميذا للباقلاني لكنّه من طبقتة أفاد منه في رحلته إلى المشرق[1]غير أن الواضح أن القابسي لم يكن يلقن تلاميذه غير عقيدة مالك في العقيدة [2]بمن فيهم أبا عمران الفاسي الذي لم يعرفها إلا بعد رحلته إلى المشرق [3]بدليل أنه تأثّر بالباقلاني قائلا عنه :"سبقُ أهل السنة في زمانه... وإمام المتكلمين أهل الحق في وقتنا ... وقد رحلت إلى بغداد بعد أن تفقّهت على أبي الحسن القابسي وإبن الأصيلي ،فلمّا حضرت مجلسه حقرت نفسي ورجعت عنده كالمبتدئ" .[4]فالفاسي لم يلقن تلاميذه كوجاج وابن ياسين إلاّ المذهب المالكي أصولا وفروعا ،وعلى ذلك كان تأثيرهم ونتاجهم [5] فمستوى الحاجة الفكري هو الذي حمل الدعاة الأوائل على عدم الخوض في علم الأصول كما أوردنا .

زد على ذلك أنّ مفهوم الفقيه الذي كان على عهد المرابطين كما وصفه المقرّي في نفح الطيب :"وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى أن الملثمين كانوا يسمّون الأمير العظيم منهم بالفقيه ،وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السّمات.." ضف إلى ذلك أنّ المرابطين كانوا يخطّطون لسياستهم ويتحمّلون كامل المسؤولية لحماية كيان دولتهم والإشراف على تنفيذ التعاليم وتوجيه الأحكام وكل ذلك مطعّم برفض العفوية واللاعقائدية وينظرون للحكم والدولة بمنظور علمي بحت دون أن ننكر أنّ علم الكلام كان حاضرا كغيره من العلوم حتى في الفترات الأولى لبداية الدولة فبرز فيه المتكلم الأصولي أبو بكر مُحَمَّد الحسن

[1]القاضي عياض ، ترتيب المدارك،المصدر السابق،ج:4،ص:703.

[2] عبد المجيد النجار ،فصول في تاريخ الفكر الإسلامي في المغرب ،دار الغرب الإسلامي :بيروت ،سنة :1992م،د:ط،ص:27،28.

[3]عبد الحميد سعد زغلول ،تاريخ المغرب العربي ،منشأة المعارف : الإسكندرية ،1994م، دط،ج:4،ص:161.

[4]القاضي عياض ، ترتيب المدارك ،المصدر السابق، ج:4،ص :586.

[5] عبد المجيد النجار ،المرجع السابق،ص:28.

الحضرمي المرادي القيرواني ت 419هـ[1] والذي كان أول من أدخل علوم الإعتقاد إلى المغرب الأقصى الذي عرف عهده بانعدام المد الأشعري في المنطقة فصاغ هذه الأراء على العَقد الأشعري في أرجوزات سهلة الحفظ [2].هذا المتكلم إستقدمه أبو بكر بن عمر زعيم المرابطين قبل ابن تاشفين ،ويعتبره المقري في رياض النفوس [3]أوّل من أدخل علم الإعتقاد إلى المغرب وتلميذه من بعده يوسف بن موسى الكلبي

وفي الفلسفة ظهر مالك بن وهيب الذي كان وزيرا لإبن يوسف ومثله أبو بكر بن باجة وفي الطب برز أبو العلاء بن زهر الذي قال عنه ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء :"كان في دولة الملثمين وحضي في أيامهم بالمنزلة الرفيعة والذكر الجميل وفي زمانه وصل كتاب القانون لإبن سينا إلى المغرب في إشارة إلى أّنه على علمه بالطّب كان نابغا في الفلسفة.دون أن ننسى أن هذه الحركة الفكرية كانت في فترة لا تزال فيها الدولة في طور التكوين وعودها لايزال طريّا وأمّا بعد ما استتبّ أمرها ظهر في الأصول والكلام أبو القاسم المعافري السبتي الذي قال عنه القاضي عياض أنه درس هذين العلمين في سبتة طول حياته وعليه أخذهما جماعة من العلماء . ..[4]

وعلى خلاف ماقاله عبد الواحد المراكشي نجد إهتمام العلماء بالحديث قد بلغ مبلغا عظيما ،فابن الأبار ألّف كتابا كاملا ترجم فيه لثلاثة مائة وخمسة عشرا من طلبة الإمام أبـــي علي الـصّـــدفي فهذا إمام واحد له ثلاثمائة تلميذ كلهم من المشاهير أمّامن هم دونهم فأكثر [5]

---

[1] متكلم أشعري قيرواني الأصل سكن أغمات ثم إصطحبه منها أمير المرابطين أبو بكر بن عمر وولاه قضاءها ،ينظر:الحضرمي ، كتاب الإثارة في أدب الإمارة ،تح:مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن إسماعيل وفريد أحمد المزيدي،دار الكتاب : بيروت دس،،ط:1 ، ،ص:202

[2] مُحَمَّد محمود عبد الله بن بيه ، المرجع السابق ، ص:39.

[3] احمد بن مُحَمَّد لمقري التلمساني شهاب الدين ،أزهار الرياض في اخبار عياض،.تح:مصطفى السقا و اخرون مطبعة لجنة التاليف والنشر و التوزيع ،القاهرة،1939م.د:ط،ج:3،ص:120

[4] نفسه،ج:3،ص:145.

[5] إبن الأبار ،التكملة لكتاب الصلة،تح:عبد السلام الهراس،دار الفكر للطباعة،لبنان،1995م،دط، ،ج:1،ص:163.

ولم يقتصر الاهتمام به على طلبة العلم وعوام الناس بل حتّى أفراد البيت المرابطي وأعيانهم كان لهم حظ وافر منه على غرار الأمير ميمون بن ياسين اللّمتوني ت 530هـ [1]كان ممن عنى بالرواية وطلب الحديث كصحيحي البخاري ومسلم وأمثاله كثر ،كالأمير منصور بن الحاج داوود بن عمر أحد رؤساء لمتونة سمع من أبي علي الصدفي و نبغ في معرفة السنن والأثار [2]وقاضي الجماعة بمراكش أبومُحَمَّد عبد الله بن اسماعيل الإشبيلي الذي على كعبه في الفقه و الحديث مامكّنه من توليّ القضاءليوسف بن تاشفين [3].

وأمّا أعلام الحديث فهم كثر ،منهم أبو علي حسين الجبائي ت 498هـ،الحافظ الحجة محدّث الأندلس في زمانه يقول عنه تلميذه أبو الحسن بن مغيث كان من أكمل الناس علما بالحديث ومعرفة بطريقه وحفظا لرجاله جمع من سعة الرواية مالم يجمعه أحد أدركناه .[4]والقاضي أبو بكر بن العربي المعافري ت 543 خاتمة علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها على حدّ تعبير تلميذه ابن بشكوال[5]

بشكوال[5]

ومن هؤلاء المحدثين الكبار القاضي عياض ت 544هـ الذي أجمع أهل العلم ممن جاء بعده على تقدّمه في علمي الرواية والدراية وبلغ بصناعة الحديث والأثار مبلغا عظيما من آثاره مشارق الأنوار على صحاح الآثار وله كتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقيد السماع ،وهو أول كتاب جامع في علم

[1] **ميمون بن ياسين اللمتوني** أبو عمر أحد كبار رؤساء لمتونة سكن المرية وأخذ عن شيوخ إشبيلية وغرناطة،مُحَمَّد بن عبد الملك المراكشي ،الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ،،تح:إحسان عباس مُحَمَّد بن شريفة ،بشار محمود عواد معروف ، 2012م، ط:1،ص:236.

[2] إبن الأبار ، المصدر السابق ،ج:1،ص:163.

[3] إبن بشكوال ،الصلة في تاريخ أئمة الاندلس،نش:عزت العطار الحسيني،مكتبة الخانجي القاهرة،مصر،1955م،ط:2 ،ج:2،ص:439.

[4] نفسه،ج:3 ،ص:233.

[5] .نفسه،ج:3،ص:250

الحديث لعالم من أهل المغرب إعتمد عليه المؤلفون في مصطلح الحديث مثل ابن الصلاح ت: 643هـ،وابن حجر ت: 852هـ،والسيوطي ت: 911هـ،

وفي التفسير نجد أن نفرا من العلماء برعوا فيه فاشتهر أبو القاسم أحمد بن عمر المعروف بابن ورد ت 540هـ،محدث وفقيه ومفسر

كل هذه الأمثلة التي رصدناها تنّم على إنتشار العلوم التي قيل عنهم أنهم حاربوها ،وتؤكد أن العلماء في هذا العصر نبغوا وأجادوا في كل العلوم وصاروا أئمة في كثير من ميادينها فلم يتعصبوا على الفقه المالكي على حساب علوم أخرى [1]على خلاف ماذكره صاحب المعجب ومن تبعه من أمثال ألفرد بل في كتابه . [2]

إظافة إلى ماسبق ذكره نجد إهتمام المرابطين بالأدب كنوع من أنواع التفتح الفكري لا يُنكر صيته وذلك مبلغ تعبير صاحب المعجب نفسه الذي قال:" قد إجتمع ليوسف بن تاشفين من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة مالم يتحقق إجتماعه لأحد في أي عصر من العصور..." .[3]حتى النساء كانت لهن مجالس أدب وشعر ،إذ لمعت في هذا المجال حواء بنت ابراهيم بن تافلويت وأختها زينب وتميمة بنت يوسف ابن تاشفين [4].

وقد يقول قائل مستندا على تعطيل الحركة الفكرية وأنها كانت غير مزدهرة بدعوى محامل إحراق الاحياء للغزالي على الرغم من أن قضية الإحراق كبيرة ومثيرة .وهذا ماسنعرضه في عنصر موقف السلطة المرابطية من التصوف وعلم الكلام لكن قبله سنتطرق في موقف السلطة المرابطية

[1] محمد محمود عبد الله بن بيه،المرجع السابق ص:90.

[2] ألفرد بل ،الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم ت،ح:عبد الرحمان بدوي.،دار الغرب الاسلامي،بيروت.1988م.ط:3،:240

[3] عباس الجراري، التيار الفقهي المرابطي ومدى تأثيره على الفكر والأدب مقال منشور،بمجلة دعوة الحق وزارة والاوقاف والشؤون الاسلامية http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/i/4241 : ع:156.157،1973م.

[4] المقال نفسه..

لعنصر –مهّم كذلك– في توجيه هذا الفلك وهو العنصر الرابط بين السلطة والعامة وما ينجم عن من كبير حظّ من العلوم والمعارف. وأثر ذلك كله على فاعلية الحدث السياسي، ألا وهو عنصر يخصّ طائفة العلماء ومكانتهم في السلطة المرابطية.

المبحث الثاني :

علاقة الفقهاء بالسلطة في الدولة المرابطية:

لقد حظي الفقهاء المالكية بمكانة مرموقة لدى السلطة [1] المرابطية، فهم الذين وطّنوا وقاموا بالدعاية لها ووفّروا لها الجو الذي تكيّفت وفقه بوتقة أصولها وذلك بفضل مثابرتهم وتضحياتهم.فمن ذلك نجد أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين يعظم شأنهم ويصرف الأمور إليهم ويكثر من مشاورتهم[2] ونجد هذه العلاقة توطّدت دعائمها في عهد ولده يوسف ابن تاشفين،فبلغ الفقهاء الحظوة العظمى في أيامه وإليهم أسندت أمور المسلمين كلها صغيرها وكبيرها [3]فقد أضحى العلماء أهم مستشاري أمراء المرابطين وبالتالي كانت هي القوة الأكثر تأثيرا على قرارات أمير المسلمين وكانت الغلبة في كفهم في أغلب المشاورات –من أعظم الأمور قدرا في الدولة إلى أبسط الأمور فيها –ونضرب مثالا على ذلك :"عندما أراد أمير المسلمين يوسف إبن تاشفين أن يعيّن ولده عليا وليّا للعهد إستشار العلماء في ذلك فرفضوا ذلك .[4]

وزاد الإعتماد عليهم في المشورة على عهد علي بن يوسف فكان لايهمّ لأمر في جميع مملكته دون مشاورتهم[5] وكذلك رفضوا ولاية ابنه بدلا من أخيه إسحاق تحت ضغط زوجته،فكان رأي

---

[1] **السلطة:لغة** : مشتقة من السلاطة أي التمكن من القهر ، من الفعل سلط ،يقال سلطه فتسلّط أي تحكّم وتمكّن وسيطر،ومنه السلطان بمعنى الحاكم المسيطر .أمّا **اصطلاحا** فهي: القوة المناط بها إدارة المجتمع الإنساني وحكومته وجهودها ضروري لايستغنى عنه حيث مكان التجمع البشري وهي ضاهرة خضوع المجمعات البشرية ،وطاعتها للفرد أو المجموعة من أوامر ونهي ،ينظر:عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة دار الهدى للنشر و التوزيع،بيروت ،1981م ،ط:3ص:55.

[2] ابن عذارى ،المصدر السابق،ج:4،ص:46

[3] عبد الواحد المرؤاكشي ،المصدر السابق ،ص:252.

[4] امجهول ،الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية،تح:سهيل زكار و عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء ،المغرب1979م،ط:1،ص:76.

[5] عبد الواحد المراكشي المصدر السابق ،ص:252.

الفقهاء مع تاشفين بحجةأنه أهل ورع وتقوى ولما ظهر عنه من شهامة وبسالة في مواجهة العدو [1]إذ ذكر ابن الخطيب عنه أنه لم يشرب قط مسكرا ولا استمع إلى قيّنة ولا إشتغل بلذّة مماّ يلهو به الملوك

إذًا سلطة الأمراء المرابطين كانت تنفيذا لكل ما تمليه قرارات العلماء وتصويباتهم [2]ولم تكن هذه الإشارات خاصة بأمير المسلمين بل حتى نوابه في المغرب والأندلس ملزمون بالإستشارة [3]إظافة الى هذا الدّور الإستشاري مارس الفقهاء تأثيرهم من خلال وظائفهم التي كانوا يمارسونها ولعل أهمها وظيفة القضاء الذي يعتبر أحد أهم الوظائف في هذا العهد فزاد شأنه وصلاحيته ومُنح سلطة واسعة إلى حدّ أنّ القاضي كان في وسعه أن يدخل في تنصيب العمال وعزلهم ،مثلما حدث تماما للقاضي أبي الوليد إبن رشد عندما كتب الى أمير المسلمين علي ابن يوسف ابن تاشفين بعزل أخيه تميم [4] لعدم كفائته .وقد إستجاب أمير المسلمين فعلا لرأي إبن رشد فعزله سنة 520هـ .

كما كانت سلطة القاضي فوق سلطة الحاكم الإداري والعسكري فهو الرقيب عليه وعلى الولاة والعمال التابعين له .وقد أوضح أمير المسلمين هذه المسؤوليات في رسالة وجّهها إلى قاضي مالقة أبــو مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسي المالقي المتوفي سنة 542هـ[5]ومما جاء فيها "وقد قلّدناك تقليدا تامّا أن تنظر بجهتك من شكاوى العامة في اللّطيف والجليل وسلمناك القيام بالخفيف منها والثقيل وأي عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعدّيه وعلمت بصحة حاله أنفذ عزله عن

[1]لسان الدين ابن الخطيب،اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ،تح:احمد مختار العبادي ومُحَمَّد ابراهيم الكتاني ،نشر وتوزيع دار الكتب،الدار البيضاء ،المغرب1964م،دط،ج:1،ص ص:446،447

[2] ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،دار الرشاد الحديثة،المغرب،2000،دط،ج:1،ص:202.

[3]كان لأمير المسلمين نائبان أحدهما للمغرب مقيم في فاس والأخر في لأندلس مقيم في قرطبة وفي بعض الأحيان في غرناطة وكان نائب أمير المسلمين هو الحاكم المدني والعسكري في منطقته ويتبع لحكمه ولاة الأقاليم في المنطقة

[4]أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين أخو علي بن يوسف ولى الحكم في غرناطة من 500هـ الى 503هـ ثم إلى تلمسان بالمغرب وعاد إلى الأندلس نائبا للأمير في غرناطة ثم إلى قرطبة ليعزل سنة 520هـ لعدم كفائته وشكوى أهل الأندلس منه.

[5]أأبو الحسن بن عبد الله لنبهاني ،تاريخ قضاة الأندلس ،تح:لجنة احياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة بيروت ،لبنان1983م،ط:5،ص:103.

رعيته وإلا فأخف ذلك إلينا في سائر مايتوقف لديك من الأمور التي تقصر عنها يدك ..."[1]وفي نفس السياق يقول علي ابن يوسف مخاطبا القاضي ابن حمدين :"...وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضيه ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيه...والعمال والرعية كافة سواء في الحق ،فإن شكت إليك الرعية ،بعامل وصحّ عندك ظلمه لها ،ولا يتجه في ذلك عمل غير عزله فاعزله ،ومن اسنحق من كلا الطرفين الضّرب أو العزل او السجن فاضربه واسجنه وتصرفك أحيانا في إصلاح صنعك وترفيع معاشك غير مضيّق عليك فيه فاعلمه".[2]

أما بخصوص التعين فكان يتمّ إمّا بأمر من أمير المسلمين نفسه أو يوكّل لأهل البلد الذين يبعثون بترشيحهم إلى الأمير الذي يقرّ بذلك أو يرفضه ويرسل من بعد ذلك خطابا بالتعين. [3]

ويترأّس القضاة قاضي الجماعة وهو بمنزلة وزير العدل اليوم وكان هنالك قاضيان للجماعة أحدهما يشرف على القضاء في الأندلس ومقره قرطبة ومن أشهر من تولى هذا المنصب أبو القاسم أحمد بن حمدين التغلبي [4]وأبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد ابن رشد [5]وأبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن خلف التجبي المعروف بابن الحاج [6]أمّا قاضي الجماعة الثاني فمقرّه بمراكش يشرف على عمل القضاة

---

[1] محمود علي مكي ،وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين .صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية،القاهرة.1959-1960م.دط،ص.ص:173.172

[2] حسن بن علي بن بسام الشنتريني ،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح :إحسان عباس،دار الثقافة بيروت، ،:1998م،دط . ج:1 ص: 261،262.

[3]كما حدث في قرطبة عندما ترك القاضي أحمد بن رشد منصبه فاختار أهل قرطبة أبا جعفر بن حمدين ،وأرسلوا باسمه للأمير علي بن يوسف فأقرهم و اونصبه على القضاء،ينظر:النبهاني، المصدر السابق :ص:103.

[4] **أبو القاسم أحمد بن مُحَمَّد بن حمدين ت** 521هـ فقيه قرطبي من بيت علم ودين تولى القضاء بعد أبيه: 508هـ،ثم خلفا لأبي الوليد بن رشد وبقي فيه إلى أن توفي 521هـ ،ينظر ، ابن القطان المراكشي،نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح:د محمود علي مكي ،دار الغرب الاسلامي بيروت ،دس،دط،ص:73

[5]ابن بشكوال، المصدر السابق ،ج:2،ص:546.

[6] **مُحَمَّد بن أحمد التجيبي المعروف بابن الحاج** ت 529هـ،أحد كبار علماء قرطبة ،كان محدثا وأديبا بصيرا بالفتيا تدور الفتايا عليه لمعرفته وديانته قتل 529هـ

بالمغرب يدعى قاضي الحضرة [1]وكان بحكم منصبه من أهم أعضاء مجلس الشورى وأنفذهم لدى أمير المسلمين [2]ومن أشهر من تولى هذا المنصب أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم اللّخمي [3]وأبو سعيد خلوف بن خلف الله الصّنهاجي [4]كما أنّه قد يُسند إلى أحد العلماء مهمة الإشراف على شؤون القضاة في الأندلس والمغرب كما حصل مع الفقيه بي عبد الملك مروان بن عبد الملك بن سمحون اللواتي[5]الذي صرف إليه الأمير يوسف بن تاشفين جميع أمور الأندلس والمغرب وفوّض إليه كبارها [6]كما كان القاضي يشرف على عدة خطط ووظائف منها بيت المال فيختار رجلا أهلا لذلك غنيّا عدلا كما كان القضاة كذلك يشرفون على أمور المساجد من إمامة وخطبة فيتولّاها هو بنفسه أحيانا ويوكل اليه من يراه أهلا في ذلك حتى أمور تسوية المساجد وتعديلها[7]

بل وحتى الاحتفاء والترحيب بموكب القضاة كان قد جرت العادة به حتى أن أحدهم وهو القاضي ابو بكر بن الأسود[8] الذي شكا بدوره إلى نائب أمير المسلمين في الأندلس تاشفين بن علي قلة الحفاوة [9]فكل هذا النفوذ جراء وطيد العلاقة بين القضاة والسلطة أكسب هؤلاء جاها عريضا ومالا

[1] إبراهيم حركات ،المرجع السابق :ص:16.

[2]حسن محمود، المرجع السابق ،ص:67.

[3]إبن الآبار ،التكملة لكتاب الصلة،،المصدر السابق ،ج:4ص:214.

[4] نفسه،ج:4،ص:220

[5]وصفه القاضي عياض بأنه زعيم المغرب وشيخه وذو الجاه والعرض والقول المسموع ينظر:القاضي عياض ،الغنية،ص:258.

[6]القاضي أ بو بكر مُحَمَّد بن ابراهيم بن أحمد بن أسود الغساني ت 539هـ،فقيه من المرية لم تحمد سيرته فصرف عن القضاء توفي بمراكش ينظر:ابن بشكوال ،المصدر السابق ج:2،ص:553.

[7]فقد أشار القاضي أبوعبد الله مُحَمَّد بن داود قاضي فاس على زيادة مساحة جامع القروين بفاس سنة 530هـ ومثله القاضي أبو أبو مُحَمَّد عبد الحق بن عطية في زيادة سعة مسجد ألمرية سنة 531هـ

[8]**أبو بكر مُحَمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن الأسود الغساني** ت 536هـ،فقيه من ألميرية لم تحمد سيرته فصرف عن القضاء توفي بمراكش ،ينظر أابن بشكوال .الصلة المصدر السابق ج:2،ص:553

[9]حسين مؤنس ،سبع وثائق جديدة ،وثيقة جديدة ،مرجع سابق.ج:2ص:70،:

جزيلا [1]وعلى العموم هناك قضاة عملوا في مناصبهم بكد فعدلوا وحاربوا الظلم كابن العربي والقاضي عياض وغيرهم كثير...

وعلى هذا فقد سعى أولئك إلى إقامة الشرع الحنيف وحمايته من الزيف ،هذا ماجرّ عليهم محنا كثيرة واستياءات في سبيل إقامة الحق فمن ذلك أن قتل أحد المجرمين قاضي الجماعة بقرطبة **محمّد بن أحمد بن الحاج التجيبي** ت 529هـ[2]رغم أنّه كان ليّنا متواضعا صابرا ولم يحفظ له تجاوز في قضيّة [3] [3] وكاد ابن العربي أن ينال نفس المصير بعد ما تألّب عليه نفر من المجرمين في إشبيلية [4]ونفس الحادثة الحادثة وقعت لأبي الوليد ابن رشد الأمر الذي إضطرّه للإستعفاء من القضاء. [5]

فكل هذه المكانة جرت عليهم إنتقادات لاذعة من قبل أطياف المجتمع كالشعراء الذين لم يرضوا هذا الحال فسلّوا ألسنتهم للنّيل من هؤلاء ومذهبهم. كالشاعر الأعمى التيطلي صاحب الديوان [6]الذي كان يرى هذه الدولة دولة ظلم وجور وهذا جليّ في أقواله بل وتعدّى إلى الهجاء والنيل منهم ونشر مثالبهم كابن البني الذي يقول:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم .

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الأموال بابن القاسم .

---

[1]عبد الواحد المراكشي المصدر السابق،ص:253

[2]من مواليد 458هـ شيخ الأندلس وقاضي الجماعة بقرطبة كان من كبار قضاة المرابطين .كان سمحا في أخلاقه مع الرعية تفقه على يد بن زروق أبو جعفر قتل يوم الجمعة وهو يصلي في مسجده.

[3] ابن بشكوال ،الصلة ،ج:2،ص:550.

[4]ويصف لنا حاله قائلا على لسانه:وقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يكن ير في الأرض منكر وإشتد الخطب على أهل الغصب وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا إليّ واستسلمت لامر الله وأمرت من حولي أن لا يدافعوا عني فعاثوا علي وأمسيت سليب الدار .

[5]لسان الدين بن الخطيب اعمال الاعلام المصدر السابق ص:253.

[6]ينظر: أبو جعفر أحمد لن عبد الله بن أبي هريرة ،ديوان الاعمى، تح:إحسان عباس ،دار الثقافة بيروت :لبنان 1963م،ص:20.

وركبتموا شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم .

ولم يقتصر هذا الإنتقاد على الشعراء إذ ذهب بعض المتصوفة إلى هذا النحو كابن العريف الذي وصفهم :"كان الكبر والفخر والسرور بجمع الدنيا في وجوههم باديا وناموا واتكؤوا بجنوبهم على اللّين أنواع اللباس وإيثار راحة النفس... "[1]ومن الواضح أن هذا الإنتقاد من إبن العريف وإن كان حقيقة في بعض الأفراد إلا أن تعميمه فيه جزا فيه داخل ضمن صراع الفقهاء والمتصوفة في هـذه الفترة .[2]ولا بدّ أن ننّوه على أمر مفاده إستعفاء ثلة من القضاة بل عدد كبير منهم المهمة وهو مايطرح تساءلات كثيرة حول الخلفيات الإجتماعية .وراء ذلك..

فهذه الفقيه هشام بن أحمد بن سعيد المعروف بابن العواد ت 509هـ،فرض عليه القضاء فامتنع [3]والفقيه عبد الله بن أحمد بن واشون الهذلي ت 529هـ فضّل السجن على القضاء بفاس[4]وكان القاضي أبو علي الصدفي أشهر هذا الصنف والذي تولّى القضاء بمرسية نزولا عند رغبة أهلها ،فسار فيها بسيرة فضحت من كان قبله وأتعبت من بعده ولكنّه استعفى ولم يجب إلى ذلك، ففّر هاربا إلى أليرية وتوارى فيها شهورا [5]ليعود إلى طلبته .إلى أن وصل حدّ الإباية إلى السجن وذلك وذلك لحملهم على العود وكان هذا نظر السلطان إذ في ذلك هدم لعرى التماسك داخل الدولة التي تصبح بذلك مظطرة لتوليته الحائدين عن الحق في الأقضية والأحكام إظافة إلى كل هذا لم يتوان اولئك الأفذاذ في مهماتهم الصعبة من تأدية وظيفتة التعليم والتدريس والسماع والإفتاء كل ذلك لم يثن من

[1]عصمت عبد اللطيف دندش االأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،دار الغرب الإسلامي :لبنان ،1989م،،ط:1، ص:49.

[2] مصطفى بنسباغ السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين،منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية :المغرب، ، 1999م،ط:1ص:90.

[3] ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج:2،ص:619،

[4]أأحمد بن القاضي المكناسي ،جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ،دار المنصور للوراقة ،1973م،ج:2،ص:419.

[5]القاضي عياض ، الغنية ، المصدر السابق ص:194

عزائهم في ذلك لولا صعوبة سرد نفر منهم لكان أطيب ،وذلك لشساعته وكثرت أعمدته من العلماء الأقطاب.

المبحث الثالث :

_ موقف السلطة المرابطية من التصوف وعلم الكلام :

إتّسم القرن 3هـ بالنزاعات الفكرية بين مختلف أطياف الحقل المعرفي سواءا في المشرق أو المغرب ، ولعلّ ذلك يُعزى إلى تغلغل علم الكلام في كثير من المباحث التي تستدعي المحاجاة والإستدلال.ولقد إعتلى هذا المنبر الإستدلالي علماء أجلاء مثل القاضي أبو بكر الباقلاني [1] وأبو إسحاق الإسفرايني [2]والإمام الغزالي[3]ولعل ماميّز علم الكلام في هذه الفترة هو تطعيمه بالفلسفة في معظم مدارسه،فاستعملت إلى حدّ أوسع لتدعيم الأفكار مع تفاوت في درجة الأخذ[4]ونشير إلى أنّ هناك مدرسة فلسفية بحتة لها مسار خاص والذي يعبر من خلاله عن ثقافة اليونان الفلسفية أكثر من إعتنائها بالفلسفة الإسلامية وقضاياها [5]كإبن سينا والبيروني وغيرهما ممن بث الشكّ والإلحاد في الفكر الفكر الإسلامي [6]

إلا أن الذي يهمنا بمكان من هذا التقديم هو أن المغرب كغيره تأثر بهذا التيار الوافد بحكم الإتصال والسند والإجازة وغيرها من طرق الإنتقال المعرفي المشهورة إذ رحلت الى المغرب

---

[1] **هو أبو بكر بن مُحَمَّد الطيب المعروف بالباقلاني** ت 403هـ ،متكلم مشهور على مذهب أبي الحسن الأشعري ، لقب بشيخ السنة ولسان الأمة مالكي المذهب ،كان وصفه بجودة الإستنباط وسرعة الرد، ينظر : إبن كثير ،البداية والنهاية،مصدر سابق ج:11ص:350،351.

[2] **أبو إسحاق الإسفرايني**:ت 418هـ فقيه أصولي شافعي المذهب ،كان شيخ أهل خرسان وعنه أخذ علماء نيسابور علم الكلام ينظر :الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،المصدر السابق.ج:17ص:120.

[3] **مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي ت** 505هـ فقيه أصولي وفيلسوف متصوف مشهور له نحو مائتي مصنف أشهرها الإحياء علوم الدين ،وتهافت الفلاسفة ،ينظر :ابن خلكان وفيات الأعيان ،المصدر السابق،ج:4،ص:216.

[4] عبد المجيد بدوي،التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي خلال ق5هـ،ص:45.

[5] سامي النشار،نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جدار المعارف .القاهرة ،دس،ط:8ج:1ص:19..

[6] ابن الأثير ، المصدر السابق، مج:8،ص:15.

كما سبق وتطرقنا على ضعف في الحدة والجدة معا ،فتعامل معها العلماء بهدوء ورويّة نظرا لخصوصية البيئة والظروف الفكرية غير الملائمة لمثل مقارنة ببلاد المشرق.

فمن ذلك أن وجدت الدولة المرابطية التي تنامى ظهورها وإشتدّ عودها منذ بداية دخول هذا المد إلى أرض المغرب [1]لكن هذه السلطة جعلت العلماء يتعاملون مع علم الكلام من هذه الخلفية والزاوية التي تقضي بمذهبية المالكية في الأصول والفروع[2]بمالكية بحتة كما رأينا في المبحث الأول ،فهذا المنطق جعل العلماء المرابطين ،ينبذون الفلسفة باعتبارها علما لا نفع فيه،تشوبه أفكار تقود إلى الكفر وتشبثوا بمنهج الإمام مالك في الأصول من غير خوض في التشابه من النصوص.[3]

فمن هذا الأساس قبّح العلماء المرابطون هذا العلم وأجادوا في إستطراد إستقباح السلف له وقالو ببدعته وأنه مؤدي إلى إختلال العقائد ،فمن جهة هذا التمرير ما أثر عن يوسف ابن تاشفين أنه كان يكتب المرة بعد الأخرى إلى أعماله بالتشدّد في نبذ الكلام [4]حفاظا على عقائد الأمة ،مع فتح المجال أمام هذا العلم لمن له القدرة على الخوض في غماره ومباحثه إذا احتاج إليه في الذبّ عن الشرع وحرماته على حدّ قول ابن العربي[5]،إلّا أن تعليل الفقيه أبو مُحَمَّد عبد الحق ابن الخراط [6]لعدم

[1]لعل هذا الذي يرى من خلال أول بداية لهذه الدعوة على يد أبي عمران الفاسي وإتصاله بالبقلاني ،ينظر :إبراهيم التهامي ، مرجع سابق ،ص:249.

[2] هذا للإشارة إلى توافق الأشعرية مع أهل السنة قبل أبي المعالي الجويني .

[3]المراكشي المصدر السابق ،ص:255.

[4]نفسه ،ص:259.

[5]ابو بكر ابن العربي ،العواصم من القواصم،.تص:عبد الحميد بن باديس، المطبعة الاسلامية الجزائرية .الجزائر 1926م،ط:1.ج:2،ص:109.

[6]**عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي** ت 518هـ المعروف بابن الخراط فقيه حافظ ومحدث هاجر إلى بجاية من الأندلس عند إنقراض دولة المرابطين ،ينظر:إبن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،المصدر السابق،ج:2،ص:56.

ضرورة تعلّم علم الكلام والخوض فيه في بلاد المغرب خلال القرن 5هـ راجع لسلامة هذه البلاد من البدع .على حد قوله .[1]

ولعل محاربة العماء لعلم الكلام وتحجيم إنتشاره كانت مقاصدية في مبناها وذلك لحجز العامة عن الوقوع في الشبهات قد تفسد عقائدها لا معاداة أربابها وهنا قراءة ضمنية في هذا المعنى بدليل أنه عندما إستفسر على بن يوسف شيخ المالكية أبا الوليد بن رشد عن أبي الحسن الأشعري[2]والإسفرايني والباقابلاني وغيرهم من نظراء علم الكلام وأصول الديانة هم أئمة رشاد وهداية أم أهل حيرة وغواية ؟ فأجابه :قائلا هؤلاء أئمة خير وهداية وممن يجب بهم الإقتداء لأنهم قاموا بنصر الشريعة وأبطلو الشبه والزيغ [3]إظافة إلى ذلك نجد بعض العلماء المرابطين من طبقات ابن ياسين نجد علماء إشتهروا بعلم الكلام مثل الإمام الحضرمي المرادي فقد وصفه القاضي بأنه أول من أدخل علوم الإعتقاد إلى المغرب الأقصى وله تواليف مثل كتاب التجريد [4]وتلميذه أبو الحجاج بن موسى الكلبي [5]قال عنه إبن بشكوال من أهل التبحر في العلم التوحيد والإعتقاد وهو آخر الأئمة فيه [6]وهذا يدل على محدودية إنتشار علم الكلام مقارنة به بالمشرق[7]أما الفلسفة فكانت منبوذة من قبل العلماء في هذا العهد فهجرت ولم يتعاطاها الناس إلا في القليل من المرات سرا كالفيلسوف مالك بن وهيب

[1]ابو العباس احمد بن يحي الونشريسي ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي افريقية والمغرب وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية ،المملكة المغربية .الرباط.1981م،دط.ج:11،ص:230.

[2]علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري ت 324هـ مؤسس مذهب الأشاعرة كان من أئمة المتكلمين له تواليف عدة تراجمه وفيرة في كثيرة من المصصادر.

[3]مُحَمَّد بن رشد ،فتاوى إبن إرشد ،تح :مختار التليلي ،دار الغرب الاسلامي. 1987م.دط.ج:2ص:802.

[4]القاضي عياض،الغنية ،المصدر السابق ،ص:282.

[5]أ بو يعقوب يوسف بن يحي التادلي التشوف الى رجال التصوف.تح: :احمد توفيق :منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية الرباط.المغرب 1997م.ط:2.ص:106..

[6]إبن بشكوال ،المصدر السابق ،ج:2،ص:644.

[7]حماه الله ولد سالم ، الأصول الفكرية لدولة المرابطين وأثارها الصحراوية ،مقال منشور بمجلة مشاهد24:دراسات في الثقافة والمعرفة ، الدار البيضاء ،جريدة إلكترونية تصدرها شركة انبروف ميديا للإستشارات 2015.29.09..
https://machahid24.com/.تاريخ الدخول:25.03.2018 على الساعة:22.00.تاريخ الخروج:23.00.

الذي كان مستشارا لعلي إبن يوسف الذي لم يستطع تقيد ماوصل إليه من فكر فلسفي لما لحقه من مطالبات في حق دمه[1]

ومن أوجز ماقيل في نبذ هذا النحو الفلسفي مانجده في وصية القاضي إبي الوليد الباجي لولديه :"محذرا إياهم من قراءة شيئ من المنطق الكلام والفلسفة فإن ذلك مبني على الكفر والإلحاد والبعد عن الشريعة [2]وهاهنا يظهر لنا أن الفلسفة كانت من الممنوعات جراء حالة النفور من قبل العلماء المرابطين لها وفي هذا يقول المقري :"وكل العلوم لها عندهم حظر إلا الفلسفة وعلم التنجيم [3].

.[3]

إلا أن التصوف عُرف في دولة المرابطين في مهدها لاسيمى المعتدل منه ،إذا تجدر الإشارة أن التصوف ضربان الأول وهو السُّني وهو المعني هاهنا ،والذي يقوم على إتباع آثار السلف في إمتثال أوامر الشرع وإجتناب نواهيه ومثّل هذا الضرب علماء أجلاء بُنيت عليهم حركة الإصلاح الأولى أمثال وجاج بن زلو الذي بنى مدرسة بنفيس يعلم الناس فيها العلم ويحظهم على الخير والسلوك القويم والتربية الروحية [4]وهو شيخ الإمام عبد الله بن ياسين الذي كان زاهدا وورعا متنقلا من الدنيا [5]أما بعد بعد إستتاب الأمر للدولة نجد أبلغ تمثيل لهذا المسلك الروحي هو الزاهد الفقيه المحدث أبو علي حسين بن مُحَّد الصدفي ت 514هـ والذي قضى حياته في العلم والعمل به مجاهدا محتسبا والذي استشهد بموقعة **قتندة** . [6]

---

[1] إبن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،منشورات دار الحياة :بيروت ،1965م،ص:515.

[2] النصيحة الوليدية ،نشر:جودة عبد الرحمان ،المعهد المصري للدراسات :مدريد 1955م،.مج:1ص:35.

[3] احمد بن مُحَّد المقري التلمساني ،نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب .تح:إحسان عباس،دار صادر بيروت .لبنان،1968م.دط،ج:1.ص:221.

[4] ابن الزيات التشوف ،مصدر سابق ،،ص:89.

[5] ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص:194..

[6] **قتندة** : بلدة من إقليم سرقسطة وهو اسم اطلق على المعركة بين ألفونسو ملك أرغون وإبراهيم بن يوسف ،

وبحكم أن هذا المنهج رافق دعوة المرابطين في بدإ أمرها وإتّباع دعاتها الأوائل لها ،أثّر ذلك في سلوك التلاميذ والطلبة والأتباع فالأمير يوسف بن تاشفين كان زاهدا في المأكل والمشرب والملبس ومتاع الدنيا عموما وكان لباسه الصوف على حد تعبير إبن أبي زرع [1]وكذا إبنه علي من بعده الذي يصفه المراكشي بأنه يعد في االزهاد أقرب إلى أن يعد من الملوك والمتغلبين .[2]

والى جانب هذا التيار الصوفي السنّي ظهر تيار أخر فلسفي نتيجة التأثر باليونان ،كفلسفة أفلاطون وأرسطو والتي إنتقلت حوافرها بعدما كانت في المشرق كمؤلفات الفرابي وإبن سينا وإخوان الصفا [3]ومثّل هذا التيار في الأندلس كل من إبن العريف [4]صاحب كتاب محاسن المجالس ،والذي تحدث فيه عن مقامات الصوفية التي يمرّ بها السالك أو المريد ومنهم إبن برجان [5]وأبو القاسم بن قسي قسي [6]والذي دجج كتابه خلع النعلين ،بأراءه في الفيض والوجود ومراتب الموجودات ..

لقد أثار هذا التيار الأخير من المتصوفة حيطة العلماء في هذه الفترة القائلين بمروقها عن الجادّة ،كابن العربي المنكر عليهم قضيةَ الحلول والإتحاد وماصحبه من مقامات القوم والتي يطول الحديث فيها كالحرفة والفناء والعشق والوَله ..،إذّ قال: "...ومذهب الصوفية في إطلاق العشق على الله تجاوز عظيم ،وإعتداء كبير ولولا إطلاقه تعالى المحبة ماأطلاقناها ،فكيف نتعدّاها إلى ماسواها من

---

[1]إبن أبي زرع ، المصدر السابق ص:136.

[2]المراكشي ،المصدر السابق ،ص:252.

[3]**إخوان الصفا** جماعة ذو نزعفة فلسفية ظهروا في النصف 2هـ ينظر:عمر فروخ ،تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون.دار العلم للملايين .لبنان.1982م.ط:1 ،ص:377.

[4]أحمد مُحَمَّد المعروف بابن العريف ت 536هـ من أهل المرية متصوف .ينظر : إبن بشكوال ،الصلة ، المصدر السابق ج:3،ص:83.

[5]أبو الحكم بن برجان ت 536هـ،متصوف من أهل إشبيلية ومن أهل الكلام ،له تفسير للقرآن على طريقة القوم إشاري ،ينظر : : إبن خلكان ،وفيات الأعيان،ج:3،ص:180

[6]**أحمد بن قسي ت 546**هـ،أحمد المتسترين بالتصوف الثائرين على المرابطين في أخر دولتهم ،ينظر: إبن الخطيب ،أغمال الأعلا.مصدر سابق.،ص:248.

ألفاظ المجانّ بإذ ليس هذا أصلا في الشريّعة قط."[1]وكذلك فعل القاضي عياض[2]وقد وصل الحد في ذلك أن أوغروا الأمراء على أهل هذا الطريق فاستدعى إبن العريف إلى مراكش لإختباره [3]وسجن جماعة منهم كما سيأتي في العنصر الموالي كابن برجان والمايورقي [4]

وفي ظل هذا الصراع المحتدم بين العلماء والمتصوفة ندّدوا بكتاب الإحياء وألّفوا في الردّ عليـــــه [5]إلى أن أفتَوا بمنعه من التداول ومصادرة نسخه وإتلافها وهذا ما حصل مع علماء قرطبة الذين إستصدروا أمرا من أمير المسلمين علي ابن يوسف ابن تاشفين بإحراق كتاب الإحياء وذلك سنة 503هـ،وأمر بتفتيش المكتبات وأن يحلف أصحابها أنهم لايملكون نسخ منها وهنا تباينت الكتابات حول الدولة المرابطية بين مدافع ومندّد وهذا مايسوقنا إلى تسليط الضوء حول دواعي هذا العمل وتقريب مرجحاته حتى نعطي الأمر شيئا من الوضوح

ذكرت بعض المصادر هذه الحادثة دون أن تذكر أسبابها كابن القطان وإبن عذارى كما يذكر البعض الآخر كصاحب الحلل الموشية بقول أن الفقهاء تكلموا في كتاب الإحياء وأنكروا عليه أشياء لكنه لم يذكرها بالتحديد وكذلك فعل ابن الزيات والبعض الآخر ذكر تعليلات لكن دون إتفاق[6]فنجد كتاب بيوتات فاس الكبرى ذكرأن السبب يعود إلى الأحاديث الموضوعة[7] ومنهم من رأى أن عملية الإحراق تمت على أساس أن الغزالي من أهل الرأي.[8]

---

[1]إبن العربي ،العواصم من القواصم مصدر سابق،ص:16.

[2]ابن خلكان ،وفيات الأعيان،مصدر سابق ج:1،ص:167.

[3]لكن يوسف ابن تاشفين أطلق سراحه بعد أن أحسن إليه ،لأن القاضي ابن الأسود قاضي شرق الأندلس كان ناقما عليه فدس له السم فأراده صريعا،إ ينظر ابن الزيات ،ص:121

[4] الميورقي مُحَمَّد بن الحسن صوفي من أهل غرناطة توفي ببجاية 537هـ

[5]مثل إبن حمدين في رسائل كثيرة ،وعبد الحق بن عطية والقاضي عياض ....

[6]مصطفى بنسباغ ، المرجع السابق ،ص:80،

[7]إسماعيل بن الأحمر ، بيوتات فاس الكبرى.دار المنصور للطباعة و الوراقة،الرباط.1972م.دط.ص:33.

[8]أحمد محمود حسن ،قيام دولة المرابطين ،دار الفكر العربي القاهرة مصر.د:س .د:ط.ص:466

وهناك من أرجعها إلى ردّة فعل من قبل الأمراء على ماكتبه الغزالي ضدّهم الذي رتّب أبواب الحلال والحرام ومايتعلق بمعاملة السلطان والبعد عنه ومجانبته وموقفه من الضرائب وكذا كونه يسير وفق منحنى صوفي باطني ،والظاهر أن عملية الإحراق كانت وليدة عدة أسباب عبرت عنها ثلة من الفقهاء أمثال أبي بكر الطرطوشي الذي وصفه بأنه شحن بالكذب على رسول الله ﷺ ،فلا أعلم كتابا على وجه البسيطة أكثر منه كذبا على رسول الله صلي الله عليه وسلم"[1].

وعلى هذا النحو سار إبن الجوزي في كتابه إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء ...،إظافة إلى تشنيعه على الفقهاء الذين جردوا الشريعة من الحال والمقال والعبادة الروحية وهذا جلي في كتاباته وتعليقاته المرفقة بعد ذكره للنصوص في الأبواب الفقهية .

إلا أنّه من باب الإنصاف هو أن حادثة الإحراق لم تكن محل إجماع من العلماء بل أن بعضا منهم جاهر بمعارضتها كابن الحسن البرجي ت 509هـ،الذي أفتى بتأديب من يحرقه وتضمين قيمته لأنه مال مسلم [2].إلاّ أنّ هؤلاء المعارضين كانوا قلة ولم يسلموا من مضايقة المؤيدين خصوصا قاضي الجماعة مُحَمَّد بن حمدين الذي أمر بعزل البرجي من القضاء لمعارضته لهذا القرار .

وهناك من تحفظ وأشار بتهذيب الكتاب بأسلوب أمثل كالقاضي عياض في قوله :"لو إختصر هذا الكتاب وإقتصر على مافيه من خالص العلم لكان كتابا مفيدا"[3]وهناك تفسير آخر ذكره ذكره بعضهم وهو في نظرنا سبب وجيه وهو أن المرحلة التي كتبت فيها الإمام كتابه هذا و الذي يحث

[1] الونشريسي، المعيار ،المصدر السابق ،12،ص:185.

[2] مُحَمَّد محمود بن عبد الله بن ابيه ،المرجع السابق ،ص:106.

[3] ذكر الإمام الطرطوشي رساله عن هذا فقال ما مفاده :"أنه إلتقى بالرجل وعلم حاله ،وقال بأنه رجل إجتمع فيه العقل والفهم وفرق في ذلك بين مرحلتين من حياة الأمام ليعود ويتألق عن توغله في تصوفه إلى أن قال أيد هذا الفعل أي الإحراق وقال إن الفاعل فعل ذلك قياسا لفعل الصحابة باحراق النسخ المتبقية سوى المصحف الإمام بعد نسخة وذكر الترك إنه عزم على أنه يريد تهذيبه بابقاء مايصلح منه ودرس القذى منه أي أنه فعا ذلك حفاظا منه على عقائد العامة ، الرسالة عامة في المعيار، ج :2ص:186

فيه على العزلة ،كان المسلمون في حاجة إلى من يحميهم من جهاد النصارى المتربصين في المشرق والمغرب .و يحثهم على الجهاد ،فترك هذا الكتاب في نظرهم في هذه الفترة أولى من دواعي الخمول وعدم الحركة عن أداء واجبهم فلذالك أحرقوه تفاديا للأثار السلبية [1]

وفي نهاية هذا المبحث لنا أن نتسائل :هل قارب الفقهاء والأمراء الصواب أم جانبوه في إستصدار هذا القرار[2]مع الإشارة كما هو معروف في هذه الفترة كانت بداية التذمّر الصوفي الفعلي من الحكام المرابطين وخروجه للعلن ،وهذا ما سنراه في تداعيات الإحراق وإرتباطها بثورة المريدين وهذا كله بعد أن نتطرق إلى محن المتصوفة مع العلماء و الأمراء بعدما كان إظطهادا فكريا في بادئ الأمر .فهذا الطرح يسلط الضوء على جدية الردود الفقهية إتجاه الغزالي وأفكاره في الإحياء الأمر الذي يقاربها من المصداقية ..ولو مرحليا.

لذلك نجد الفقهاء كذلك أدلوا بدلائهم في الردود على هذا الكتاب منهم أبو بكر العربي الذي لعب دورا في تبعية الدولة المرابطية إلى الحاضرة العباسية عن طريق الغزالي رحمه الله والذي تتلمذ على يده [3]وذلك بعدما كان يثني عليه وعلى طرق إستدلاله فقال فيه بعد توغله في التصوف والفلسفة :"كان أبو حامد تاجا في هامة اللآلي وعقدا في لبة المعالي ،حتى أوغل في التصوف وأكثر منه فخرج عن الحقيقة وحاد في أكثر أحواله على الطريقة وجاء بألفاظ لا تطاق ومعان لها لبس مع الشريعة لاإنتظاما ولا إتساق فواحسرتي عليه أي شخص أفسد من ذاته وأي علم خلط منه مفرداتـــــه" [4]

[1] مُحَمَّد اليعقوبي البدراوي ،إحراق كتاب الإحياء في المغرب ،مجلة المنهل المغربية ، المغرب.عدد:6 :1977م،ص:330.

[2] تجدر الإشارة إلى أن في بعض الكتابات أن الغزالي رحمه الله ،لجأ في آخر عمره إلى كتب أهل الحديث ، متخليا عن آراءه الكلامية ولعل ذلك بيّن في رسالته إلجام العوام عن علم الكلام ،مخطوط بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : الكويت،

[3] إبراهيم التهامي ،مرجع سابق،ص:439.

[4] ابو بكر بن العربي ،العواصم من القواصم المصدر السابق ج :1 ،ص: 101.

المبحث الرابع:

نماذج من محن المتصوفة على العهد المرابطي:

من الملاحظ أن المتصوفة في المغرب في هذه العصور طبّقوا تعاليم الغزالي تطبيقا صارما خصوصا تحجيم المعاملة مع السلطان [1]كالنظر في أعطياته بوجه الشبهة مثلما ذكر ابن الزيات عن أحد كبار المتصوفة ممّن له أتباع الذي كان ينعت مال الأمير تاشفين بالمال الخبيث [2]

ولعلّ أهمّ مايُرى من تداعيات حادثة الإحراق هي بلورت هذا التيّار وإعطائه دفعا روحيا ممّا يجعله يتنامى إلى أن ينفجر في شكل ثورات مسلحة [3]كثورة المتصوفة في سبتة عام 520هـ _1126م وثورة المريدين في الأندلس 532هـ_1144م بزعامة ابن قيسيّ وثورة ابن هود في المغرب سنة 514هـ_1146[4]

إذ يمكننا أن نعتبر هذه الحادثة بداية فعلية لتبلور الفكر الصوفي الذي سينتقل من قالبه الديني إلى واقع سياسي بحت .ولعلّ هذا الطرح يقودنا إلى الإشكال التالي : كيف ساهمت محن المتصوفة في بلورت الفكر الصوفي الروحي إلى نشاط سياسي فاعل؟

لقد وصف عبد الواحد المراكشي الأمير المرابطي علي ابن يوسف بن تاشفين بأنه يعدّ في الزهاد المتبتّلين أقرب منه أن يعد من الملوك والمتغلّبين [5]إظافة إلى أنّ هناك مصادر أخرى تنسب الأمراءَ إلى المتصوفة وذلك نظرا لتغلّب طابع الزهد والعبادة عليهم ومثال ذلك قول ابن عذارى الذي

---

[1]ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج:4،ص:74،75.

[2]إبن الزيات ، التشوف ، المصدر السابق ،ص:111

[3]ابن عذارى ، المصدر السابق ،ص:75

[4]حسين مؤنس ،النصوص السياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، ج:1،ص:140.97،مجلة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،س::1955م،

[5]إبن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ص:252.

يقول عن تاشفين إبن علي :"كان يسلك طريق الناموس الشريعة ويميل إلى طريق المستقيمين وقراءة كتب المريدين [1]بالإظافة إلى إهتمامه بزيارة المتصوفة والتبرك بهم رغم حملاته الطويلة مع عبد المؤمن بين سنوات 535هـ-1140م إلى 539هـ-1144م[2]

وفي الجهة المقابلة نجد الصوفية كذلك يسعون لاستقطاب الأمراء المرابطين إلى تيّار التصوف مثلما حدث مع أبي إسحاق **باران المتوفي** الذي قال عنه إبن الزيات كان من الزعماء ،ولحق بأهل الطريق على يد أحد مشايخ الصوفية [3]ونفس الأمر حدث مع أبي زكريا بن **يوغان الصنهاجي** الذي كان من أمراء صنهاجة وانخرط في تيار التصوف و العبّاد.

فهذه بعض نماذج لأوجه الودّ والتآلف بين المتصوفة والمرابطين إلاّ أنّ وجها آخر كان عدائيا. بدأت حلقاته بعد الإحراق مباشرة في ظلّ تنامي هذا التّيار فسعى المرابطون إلى رصد حركات القوم ووسّعوا في تتبّعهم لعزلهم عن المجتمع إمّا بالإعتقال أو المنفى كما سنرى تبعا.

فهذا إبن العريف بعد أن لاح نجمه في الزهد والتبتّل وكثر مريدوه قام قاضي **ألميرية إبـــن الأسود** برفع ذلك إلى علي ابن يوسف إبن تاشفين بمراكش يخوّفه منه أشدّ التخوف؛ فما كان منه إلى أن كتب بإشخاصه إلى مراكش لاختبار حاله.[4]إلاّ أن مكانته بين العامة خفّفت عنه كثير عناء ،فاكتفى بوضعه تحت الإقامة الجبرية .

وإستمرت هذه الحملات توافقا مع إصدار منشورات التّشديد على مذهبية الإمام مالك ومجانية كتب التصوف كالمنشور الذي ورد في رسالة تاشفين ابن علي إلى حاكم وقاضي وفقهاء **بالنسية** سنة 538هالتي جاء فيها :"اعلموا رحمكم الله أنّ مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في

[1]إبن عذارى، المراكشي،المصدر السابق ،ص:79،ج:4

[2]ابن الزيات ، التشوف،ص:138.

[3]نفسه ،ص:254.

[4] نفسه ،ص:260

الحضر والبدو على ما اتّفق عليه السلف الصالح رحمهم الله من الإقتصار على مذهب إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس ﷺ فلا عدول لقاضي ولا لمفتي عن مذهبه ... ومتى عثرتهم على كتاب بدعة أو صاحب بدعة وخاصة وفّقكم الله كتب أبي حامد الغزالي فليُتتبّع أثرها وليُقطع بالحرق المتتابع خبرها ويُبحث عليها وتغلّظ الإيمان على من يُتَّهم بكتمانها..." [1]

إلاّ أنّ سياسة الإحتواء والتّقارب ومحاولة كسب ودّ المتصوفة كان من ظمن إستراتيجيات البلاط المرابطي ، فتحليل فحوى هذه السياسة يكشف أنها جاءت نتيجة الفشل في هزم هذا النفوذ الروحي المتنامي ودخوله الدولة في مرحلة الهرم والإنهيار الأمر الذي فرض عليها المسارعة إلى إستعطافهم ومهادنتهم [2]ومن أهم معالم هاته السياسة مبادرة السلطة إلى منح شعائر التبجيل والإحترام لأسرة **آل أمغار الصوفية بعين تيط الفطر بأزمور** فقد أرسل الأمير علي بن يوسف إلى عبد الله مُحَمَّد بن الشيخ **أمغار** سنة 527هـ يلتمس فيه الدعاء منه وأخذ رضاه وبركته .إذنجد أنّ هذا التقارب متزامن مع دخول الدولة في مرحلة الإنهيار وشحّ خزائنها ومواردها وكذلك متزامن مع أول هزيمة ضد الموحدين إلاّ أنّ ذلك لم يجد نفعا و السبب راجع إلى أدبيات الطرق الصوفية ومجانبتها لكل نسائم السلطة بدليل غياب موفد هذه الأسرة في الإجتماع الذي دعا إليه علي بن يوسف كافة صلحاء المغرب لمناقشة قضية الإحراق .كما أنّ أي تقارب يمكن حصوله بين التصوف والسلطة يثير الإهتمام ضدها من قبيل العامة التي راحت هي الأخرى كضحية للضرائب والجبايات المجحفة في حقهم .[3]

بعد كل هذه المعطيات لا يمكن إغفال مواجهة المرابطين لتيار التصوف بأساليب كثيرة كان الهدف منها إضعاف شوكتها والحد من النفوذ المتنامي داخل الدولة.

[1] حسين مؤمنس نصوص سياسية ،مرجع سابق ،ص:112،113.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق ،ص:153.

[3] مصطفى بنسباغ، المرجع السابق ص:85

لذا نجدها إتّبعت سياسة المراقبة لكل من يشتبه في أمره على أنّه من المتصوفة وعملت على الحد من إتّصالهم بعضهم البعض وتشدّد عليهم للتخنيق ومثال ذلك كثرة المراسلات ،بين إبن العريف ومريديه مما جعل المرابطين يتهيبون ويتخوفون منها ،فلجأت إلى التضيق عليها مما جعل إبن العريف يشكوا لأحد مريده إنقطاع الأخبار عنه بقوله:"...وإجعل منها معنى كتابي السالف الذي لم يكن عليه جواب وكنت في 529هـ،لم يصل إلينا في وجهة المشرق مخبور يأنس ولا مخبور بطيب نفس" هذا نص يصور لنا دور السلطة المرابطية في مراقبة الإتصالات والمراسلات كمحاولة التعتيم على أنشطة القوم إلاّ أنّ هذه المراقبات لم تعد تجد نفعا وفق مرغوب السلطة هذا ماجعلها تستدعي أقطابها للتحقيق معهم على غرار إستدعاء علي بن يوسف لابن العريف إلى مراكش بضغط من القاضي كما سبق وتطرقنا إليه بواسطة ابن الأسود قاضي ألمرية الذي هول من خطره إلا أنه إنتهى الأمر بتخلية سبيله و تبرئته [1].كما لجأت السلطة إلى منع بعض المتصوفة من التدريس تحسبا لأي ترويح للفكر الصوفي مثلما حدث مع المتصوف أبو الفضل بن النحوي من إلقاء دروسه في أحد مساجد سجلماسة [2]وتعرضه للملاحقة الأمر الذي أوصله إلى الإختباء في بستان له حتى أشرف على الهلاك [3]وأيضا كما فعل مع المتصوف أبي يعزى الشهير الذي تم إبعاده عن حومته البليدة بفاس تحت إتهام مفاده أن مجالسه كانت مملوءة بأهل البدع

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل وصل إلى حد التعذيب والسجن مثلما حدث تماما مع أبي الحسن على بن حرزهم الذي تم سجنه في مدينة فاس [4]وأبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر الأصم وأبو عبد الله الدقّاق ومجموعة من المريدين في فاس ،ومن أبرز المتصوفة الذين إمتحنوا بالسجن: إبن برجان بسبب

[1]ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج:1،ص:380

[2]إبن مريم ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،مر:مُحَمَّد بن أبي شنب ،دار الطلاعة الثعالبية ،الجزائر..1908م.دط،ص:.130.

[3]إبن الزيات ، المصدر السابق،ص:154.

[4]نفسه ،ص:172.

أفكاره وتأويلاته حتى أنه لقي حتفه في الأسر ،ويورد لنا ابن الأبّار خبر إعتقال الميورقي :"وامتحن بالقبض عليه مع أبي الحكم بن برجان وأبي العباس بن العريف ،فتخلص دونهما فقصد المشرق وأقام بمدينة بجاية برهة في هربه من المغرب .."

وبالمثل سجلت لنا إعتقالات عدة لمجموعة من المتصوفة من بينهم مُحَمَّد بن أحمد نمارة الحجري ومُحَمَّد بن خلف اللخمي وأبو عبد الله الشبوقي.... [1]

ومن غير المستبعد أن تكون هذه الإعتقادات مشوبة بالضّرب والتنكيل بقرينة مفادها أن إبن العريف كان يكتب رسائل لمريديه وهم في السجن يحثهم فيها على الصبر والإحتساب والتذكير بأن السجن أهوال ومحن منها الضرب والتعذيب .

وصل الأمر بين المتصوفة والفقهاء إلى حدّ لم تجد فيه سياسات المواجهة والقمع نفعا مما إظطر الفقهاء إلى تدبير مكائد للتخلص من زمرة المتصوفة وإغتيالهم لأسباب عدة منها ماهو ظاهر كعامل الصراع المذهبي وأخرى خفيّة كتداعيات العامل الإجتماعي في ظل الصراع بين جانب ثرى بمثله الفقهاء وإمتيازاتهم اللامتناهية وتيّار آخر متصوف يغلب عليه الإنزواء والتقلّل من الدنيا والتقشف فيها . كطرفي رحى يحوي بينهم طبقة العامة التي تنحاز غالبا إلى المضطهدين والمعارضين بحكم إشتراكهم في نفس المعاناة والتهميش. [2]

إذّا هذا كله كان مدار الصراع من نظرة إجتماعية بحتة جعل الفقهاء يدبّرون أسبابا لإغتيال المتصوفة ونفس الأمر حدث مع إبن برجان نتيجة أرائه الصوفية ولم يصل الأمر إلى ذلك الحد بل أمر الأمير علي بن يوسف أن تلقى جثته على المزبلة وتمنع الصلاة عليه [3]..

---

[1] مُحَمَّدإبن عبد الملك ،الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة .مصدر سابق.ج:6.ص:10.

[2] نفسه، ج :6ص:20

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ج:1،ص83.

إذًا تنوّعت أساليب القمع والمتابعة السلطويّة لتيّار التصوف إلاّ أنّ تنامي هذا التيّار ووصوله إلى مرحلة من النضج وهيألمناخ لظهور ثورات صوفية كثورة ابن قسيّ وما أسهمته في تقويض الحكم المرابطي في المغرب و الأندلس [1]

إلا أننا نخلص في الأخير إلى تنوع هذه الأساليب من قمع ومتابع للمتصوفين لم تخفّف من حدّة هذا التيّار وتداعياته و تطور حلقاته ووصوله إلى مرحلة من النضج و إشتداد العود ساهم إلى حدّ ما من تقويض الدولة المرابطية ،مع تضافر عدة أسباب أخرى كتفشي المجاعات وقوة الضربات النصرانية على أطراف الدولة ،هذا من جانب ومن جانب آخر والذي يخدم موضوعنا هو مساهمة هذا التطور في توطين للفكر الصوفي الفلسفي بأرض المغرب [2].

[3]القادري بوتشيش، المرجع السابق ،ص:174.

الفصل الثالث : محن العلماء على العقد الموحدي .

(541-668هـ.....1146-1269م)

- تمهيد :
- المبحث الأول: الأسس الفكرية لدولة الموحدين .
- المبحث الثاني : موقف السلكة الموحدية من الفقه المالكي.
- المبحث الثالث : نماذج من محن العلماء على العقد الموحدي .
- المبحث الرابع: تداعيات المحن على الفقه المالكي وتيار التصوف

تمهيد:

يعد عصر الموحدين من أزهى عصور المغرب علما وحضارة ،فقد تكاملت له أساليب الازدهار العلمي والفكري ، ومما ساعد على ذلك تقدير الخلفاء الموحدين للعلم والعلماء حقّ القدر، فالاهتمام بالعلم والدعوة إليه كان أصلا من أصول داعيتهم مُحَمَّد ابن تومرت وعليه درج خلفاؤه من بعده ،فازدهرت العلوم والآداب إزدهارا كبيرا وكان للعلوم الدينية كبير حظ من ذلك كونها مدار الحياة العلمية ومحرك الشرع في تلك الفترة والذي يخصّنا من هذه العلوم هو مكانة الفقه المالكي وفقهاؤه وكيف كانت نظرة البيت الموحدي لها؛ محاولين في هذا الفصل دراسة النظرة الموحدية للفقه والفقهاء لإستراط مايسمى بالمحنة المالكية وبحث حيثياتها ،باعتبارها نقطة صدام بين دولة لاحت بوادر اندثارها والتي قعدت لهذا الفقه ومكنت لأعلامه على نطاق واسع ،وبين تيّار مناهض يروم سبلا جديدة في قولبت الفكر وأسسه على نظرته الاجتهادية لترسيخ وجوده.

المبحث الأول :

– الأسس الفكرية لدولة الموحدين :

تحرّكت همم المصامدة [1] بالمغرب لإقامة دولة لأنفسهم على غرار ما فعله عبد الله ابن ياسين الجزولي من قبلهم ،باعتبار أنهم أغنى بلادا وأعز نفرا ، لاينقصهم إلاّ رصّ الصّف وسلامة القيادة [2] فأتاحت الظروف لشخص الفقيه مُحَمَّد اين عبد الله ابن تومرت الهرغي [3] الذي نشأ في بيت نسك وعبادة ،وشبّ قارءا محبّا للعلوم والتعليم ،والذي بدأ دراسته في المغرب ثم رحل إلى بلاد الأندلس ثم إلى المشرق وإلتقى نفرا من العلماء الجهابذة في ذلك العصر ،فأفاد من علمهم في الجدل العقلي والدراسات الفلسفية التي لم يكن له عهد بها من ذي قبل وأصبح محيطا بمعرفة الفرق الإسلامية والمذاهب والتيارات الفكرية مستغلا إيّاها في صياغة مذهبه [4] الذي وصف بكونه مزيجا من الأراء مابين حزمية وصوفية وغزالية ونزعة شيعية [5] ولمـّا أتمّ مراده من التحصيل قفل راجعا إلى بلاد المغرب: 511هـ وأخذ يدرس بعض العلوم كالفقه وأصوله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الناس للعودة إلى القرآن والسنة وإلى الإجتهاد وترك التقليد ،مرتجلا في ذلك كله ،متخيرا للرجال الذين يلمح

---

[1] **المصامدة** :قبائل مغربية لها مواطن كثيرة منها هرغة وهنتانة وتنملل وكدموية ،ينظر : عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ،مصدر سابق،ج:6،ص:298.

[2] مجهول ،الحلل الموشية مصدر سابق ،ص:19،21.

[3] **هرغة** :هي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب ،تنسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ،ﷺ ،يقال أنها نزلت في ذلك المكان عندما فتح المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير ، ينظر: إبن خلكان ،مصدر سابق،ج:5،ص:55.

[4] تأثر ابن تومرت خلال دراسته بالمشرق بالنظريات المشرقية في علوم الكلام والأصول فتأثر بتعاليم الأشعرية وأخذ عنهم مستحسنا طريقتهم في الإنتصار للعقائد وفي التأويل والمتشابه من القرآن ،كما تأثر بفكر المعتزلة في إنكارهم للصفات درءا للتشبيه كما تأثر بفكر الظاهرية و فكر أبي مُحَمَّد على بن حزم ت 456هـ،على نحو خاص وهو فكر مناهض الماكية وكذا تأثر بأراء أبي حامد الغزالي ،وبذلك يكون مذهبه مزيجا من مذاهب وفرق شتى وجدت بالعالم الإسلامي ،أخذ منها ما يحقق أهدافه ،ينظر :عبد الرحمان ابن خلدون ،العبر، مصدر سابق. ج:5،ص:302.و عبد الله علام ،مرجع سابق ص:134،135.

[5] عبد الواحد المراكشي، ،المصدر السابق، ص:245

فيهم الكفاءة ويظمهم إليه ،إلاّ أن حلّ بمراكش حاضرة المرابطين متّهما إياهم بالإنحراف والجمود و التحجر في فقه الفروع [1]

ولما إستفحل أمره، أمر أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ-357هـ)بإحضاره إلى القصر ليعدّ له ثلّة من الفقهاء ليناظرهم ،إلاّ أنه غلب عليهم بمعرفته أساليب الجدل ؛إلى أن تدخل الفقيه مالك ابن وهيب الأندلسي (ت 525هـ) الذي أدرك خطورته وأشار بالتخلص منه [2].

غادر ابن تومرت مراكش وقصد بلاد السوس [3]يدعو الناس لمذهبه بالرجوع إلى الكتاب والسنة إجتهادا ؛في حرب على الجمود والتحرر الفقهي للفقهاء المالكية الذين تركوا دراسة الأصول وتمسكوا بالآراء والفروع في نظره ؛إذًا دعوة صريحة للرجوع إلى الأصول مباشرة في إستخراج الأحكام باعتباره منهجا مغايرا للحياة العلمية ،وقد أصبح هذا المنهج من أهم المشاغل الثقافية لسياسة الموحدين فعملوا على نشره وتعميمه بين الناس وأدخلوه في مجال التربية والتعليم [4]إلاّ أنّ هذا المنهج الأصولي الذي إعتمده الموحدون وساروا عليه متأثرين بالظاهرية [5]كان منشأ خلط كبير بين عدد من المؤرخين والباحثين على أن الموحدين كانوا يتبنّون المذهب الظاهري ويتخذونه منهجا صرفا لهم في حركتهم الفقهية وأنهم عادَوا المذهب المالكي وأرادوا إزالته من المغرب [6] يقول المراكشي حكاية عن

---

[1] أبو بكر علي الصنهاجي البيذق،أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين ،تح:عبد الوهاب منصور ،دار المنصور للطباعة ،الرباط،1971م،دط.ص:32،16.

[2] حسين مؤنس ،معالم ،مرجع سابق ،ج2ص:203.

[3] **بلاد السوس**:كورة بالمغرب مدينتها طنجة وهناك السوس الأقصى ،كورة أخرى مدينتها طرقلة ومن السوس الأقصى إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين ،ينظر:ياقوت الحموي ،مصدر سابق ،ص:281.

[4] عبد المجيد النجار ، المهدي ابن تومرت ، دار الغرب الاسلامي : بيروت لبنان،:1983م،ط:1ص:117،116.

[5] نشأت الظاهرية في بغداد على يد داود بن على الأصفهاني ت 270هـ ،وترجع أصولها إلى المبالغة في استخدام القياس والإلتزام والإلتزام به وتأثر داود بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص وكثرة رواية الحديث في عصره ,هذا ما جعله يتجه إلى النص وحده في الإستدلال على القياس الجدلي .... وقد عرفت الأندلس هذا المذهب على يد عبد الله بن قاسم بن هلال ت 272هـ،الذي أدخل كتب داود بن على إلى الأندلس وظل أمر الظاهرية مقتصرا على الأفراد إلى أن نجح علي ابن أحمد بن حزم في إحياء المذهب بالتصنيف والمناضرة ونشره بين الناس بالتأليف كالإحكام لأصول الأحكام ،ينظر :أبو زهرة ،مرجع سابق ،ص:531.

[6] محمد المنوني ،حضارة الموحدين ،دار توبقال : للنشر والتوزيع ،المغرب ،1989م،ط:1،ص:38،37.

المنصور وابنه إبراهيم بعده :"كان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته عن المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وعن ابنه إبراهيم قال:"كان يذهب مذهب أبيه في الظاهــرية "[1].

لكن قول المراكشي يوحي أن الأمر في هذه المذهبية مردّه إلى الكتاب والسنة وترك التقليد، إذ قال حكاية عن أبي بكر الجد قال :"لما دخلت على أمير المسلمين أبي يعقوب المنصور وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ،فقال لي ياأبا بكر أنا أنظر في هذه الأراء المتشعّبة التي أحدثت في دين الله ،أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ،فأيّ هذه الأقوال أحقّ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟قال ففتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك ،فقال لي بعد أن قطع كلامي :يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان على يمينه أ والسيف ".[2]

فالمفهوم من هذا هو محاولة التحرر من المذهبية والتقليد[3]إذ كان هذا المحمل هو نفسه ما تدعو إليه الظاهرية بالرجوع إلى المصادر الأصلية تماما كما كان يرى ابن تومرت من قبل . [4]

كما أننا نجد في رواية المراكشي السابقة أن يعقوب المنصور قد حمل جماعة من المحدثين والعلماء على جمع الأحاديث من المصنّفات في الباب الواحد من أبواب الفقه على نفس منحـــــى ابن تومرت في الطهارة والصلاة وكان هو من يتولّى إملائها على الناس ويحملهم على حفظها ،إلا أننا نجد أن ابن تومرت قد أخذ موقفا وسطا بين الجمهور الفقهاء المالكيةوالظاهرية في قضية القياس إذ لم ينفه مطلقا كما نفاه الظاهرية ولم يثبته مطلقا كما فعل الجمهور [5] هذا من جهة ومن جهة أخرى

[1] عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق،ص:555.

[2] نفسه ،ص:355،356.

[3] حسن السائح ،الحضارة الإسلامية في المغرب ،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء،المغرب،:1986م،ط:2،ص:223..

[4] علي عبد الله علام ،مرجع سابق ،ص:312.

[5] نور الدين الخادمي ، مرجع سابق ،ص:440.

كدليل على أن الموحدين لم يكونوا ظاهرية ماقاله تاج الدين عبد الله بن حمّويه (ت 642هـ) من أن المنصور كان حافظا للقرآن متقنًا له ويحفظ متون الأحاديث ويتكلم في الفقه و يرجع الى الفقهاء يرجعون إليه في الفتاوى على حسب إجتهاده فالمقصود إذً ظاهرية في الأخذ بالنص غير الظاهرية الأصولية كمذهب فقهي مستقل.[1]

إلاّأن هذه الاقوال على الظاهرية النسبية للموحدين تحتاج الى كم كبير من االبحث و التقصي لا يمكن حصره في بحث متواضع كهذا ،فلذلك تعدينا الى العنصر الموالي لنفهم أكثر عن هذه الأسس في موقف السلطة الموحدية من الفقه المالكي عملا لفهم الأشياء بنواقضها.

1المرجع نفسه ،ص: 444

المبحث الثاني :

- موقف السلطة الموحدية من الفقه المالكي:

لقد واجه الفقه المالكي ورجالاته في الفترة الوسيطة في بلاد المغرب حزازات عسيرة لعل أهمها محنته الأولى بشقيها الأغلبي والعبيدي كما رأينا في الفصل الأول والثانية من نوعها في العهد الموحـدي [1]والتي تلقّى فيها المذهب أعنف الضربات كذلك ،سعيا لتحجيم سلطته ورواجه داخل المجتمعات المغاربية معاداة لتمكين المرابطين له من ذي قبل كما رأينا،إلا أن الملاحظ في هذا وذلك،ذلك النفس العميق الذي إمتاز به المذهب ورجالاته رغم مانالاه من محن شديدة ،وعلى هذا الأساس درج الأمراء الموحدون على تفعيل ذلك وفق سلسلة من المراسيم لتقويض سلطان الفقه المالكي ورجاله خاصة زمن المنصور الموحدي الذي إنقطع علم الفروع في وقته وهو الذي أراد طمس معالم المذهب جملة وتفصيلا وهو ماأشار إليه إبن عذارى في المعجب [2].

وهنا لنا أن نتسائل .هل الإتجاه الذي عزم المنصور على السير وفقه ضد المذهب المالكي هي من بنات أفكاره وإجتهاداته الخاصة وأرائه الفردية أم هو تفعيل لرؤى سابقيه من الأمراء الموحدين ؛لم تسمح لهم الظروف بتمريرها ؟وهل محاربة السلطة الموحدية للمالكية عموما هي محاربة المذهب بأكمله وللفقهاء المالكية عموما أم أن هناك تغليب لطرف على طرف في هذه المعادلة ؟

وقوفا على الإشارات التي تناولناها في العنصر السابق من الأسس الفكرية لدولة الموحدين يتبين لنا أن المنحى العام لهذه الدولة هو منحى مخالف تماما لسالفتها المرابطية ويتجلى ذلك في رحلة ابن تومرت وماعادت به على المنطقة من جدّة في الأصول والفروع أي في علوم الإعتقاد والعلوم الفقهية ولعل أول إلتفاتة هاهنا نلمحها في شخص ابن تومرت الذي كان ينهى عن التقليد وقراءة

[1] عمر الجيدي ، المرجع السابق ،ص:41.

[2] عبد الواحد المراكشي ،المصدر السابق ،ص :355.

كتب الرأي. [1]دون أن ننسى أن ابن تومرت لم يعرض هذه الأراء دفعة واحدة بل بثّها في أوساط عديدة مفتوحة دون أن يجبرهم على فعل شيء منها تاركا الأفضلية لهم في الإختبار بقرائن تحملهم على ذلك دون تردّد منهم ، كمسألة كرامته وعصمته وإغراقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مظهرا في ذلك كله الزهد والعبادة والتقليل من الدنيا ولذّاتها [2] ثم جاء بعده خليفته عبد المؤمن بن علي (524هـ-555هـ)[3]وتباينت الروايات على موقف هذا الأمير من الفقه المالكي بين روايتين الأولى مشرقية لإبن الأثير والتي يشير فيها إلى تمذهبه على الفقه المالكي والرواية الثانية المغربية وهي متواترة متعددة طرقها ،مردّها إلى إجتماع عبد المؤمن بن علي بعدد من كبار المالكية والذين خاطبهم عنه نائبه ووزيره أبو جعفر بن عطية (ت 533هـ)مخبرا إياهم بما ينكره عليهم الخليفة جرّاء تمسكهم بالفروع [4]إلاّ أنّ ابن رزوق ت 586هـ،شرع في تبيين ما أشكل عليه من إنكاره على مافي أمّهات المالكية من تعدّد الرأي و كثرة الفروع كمدونة سحنون وأنّ مافيها مستخرج من فهم سلف الأمة إلى ان قال البرزلي في ذلك فسكت الامر بعد ذلك اي استقر [5].

إظافة إلى هذا ؛رواية ابن أبي زرع التي تقول أن عبد المؤمن أمر بتحريق كتب الفروع وحمل العامة على قراءة كتب الحديث [6].

---

[1] ابن القطان ، المصدر السابق ،ص:90.

[2] نفسه ،ص:100.

[3]**عبد المؤمن بن علي**: ولد بقرية تاغرة قرب مدينة ندرومه في قبيلة كومية ،إنتقل إلى بجاية صحبة عمه الذي كان قاصدا الحج، غير أنه ببجاية ذهب لزيارة ابن تومرت الذي كان يدرس بقرية ملالة وتلازم الرجلان حتى الموت ،ينظر : أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة ،معجم مشاهير المغاربة ،الجزائر ،منشورات دار حلب ،2007م،د:ط .ص:301.

[4] البرزلي ،جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تح:مُحَمَّد الحبيب ،دار الغرب:بيروت لبنان،2000م،ط:1ص:376.

[5]نفسه ،ص:377.

[6]أبن أبي زرع الفاسي الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخباري أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،تح:عبد الله بن منصور دار المنصور ،الرباط،1973،دط،ص:195.

وبالتالي كان سبّاقاً في محاربة الفقه المالكي وإحراق كتب الفروع [1]وعلى هذا الطرح دأب جماعة من المؤرخين كصاحب الإستقصاء [2]وكذلك الحجوي [3]وغيرهم من المتأخرين كعلي عبد الله علام [4]والمنوني [5]...

وامتناع عبد المؤمن من تنفيذ ذلك لأنه سابق لأوانه وعدم ملائمة الظرف له في إرث إظافي من ابن تومرت كما سبق [6]وعلى هذا السياق سار المنصور من بعدهما إلاّ أنّ القفزة كانت نوعية عن سابقتها فهالة الموحدين تعاظمت وتباشير النصر في **الأرك** زادت من همّة المنصور الذي لم يدخّر جهدا في السير على نهج سابقيه والذي انقطع علم الفروع في زمنه على حدّ تعبير صاحب المعجب الذي كان معاصرا لحادثة إحراق كتب المالكية المشهورة في تلك الفترة وذلك بعد تجريدها من النص (القرآن والسنة)مثل :"مدونة سحنون ونوادر ابن أبي يزيد والواضحة [7]وكتاب ابن يونس [8]وكل هذا في في مشهد يصوره إذ يقول :"ولقد شاهدت منها وأنا يومئذ بفاس يؤتى منها بالأحمال ،فتوضع وتطلق فيها النار". [9]

---

[1]نفسه ،ص:197.196.

[2]السلاوي الناصري،أحمد بن خالد أبو العباس ،الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصا،تح:جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري،،دار الكتاب :الدار البيضاء،المغرب ،1954م دط،ج:2،ص:112.

[3]مُحَمَّد بن الحسن الحجوي الثعالبي ،الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان . دس،ط:1،ج:4ص:08.

[4]علي عبد الله علام ،مرجع سابق،ص:308.

[5]مُحَمَّد المنوني ،العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ،المطبعة المهدية :تطوان ،المغرب :1950م دط،ص:53.

[6] نفسه،ص:54.53

[7]من أمهات الكتب المالكية في الفقه والسنن للشيخ ابي مروان عبد الملك بن حبيب المرداسي السلمي ت 238،ينظر: ابن فرحون الديباج المذهب ،مصدر سابق ج:2،،ص:9.

[8] وهو كتاب جامع لمسائل المدونة والمختلطة لأبي بكر مُحَمَّد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي ت 415هـ من بين أفضل وأحسن من إعتنى بالمدونة فقد إختصرها إختصارا رائعا غير مخل وشرحها شرحا وافيا شاملا وهو من كبار المالكية في عصره وكتابه معتمد المالكية في تلك الفترة إذ لقب ب :مصحف المذهب تشبيها للمصحف بجمعه لكل صغيرة وكبيرة عدد أجزاءه مجلدات عشر مجلدات،ينظر:مُحَمَّد بن الحسن الحجوي ،مرجع سابق ،ج:4،ص:46.

[9] عبد الواحد المراكشي،مصدر سابق ،ص231.

إلى أن وصل الأمر بالخليفة المنصور أن توعد كلّ من يشتغل بعلم الرأي في الفروع بالعقوبة الشديدة كمحاولة لطمس المذهب المالكي من المغرب جملة واحدة وإحلال مذهب أهل الظاهر، إذ حمل العلماء على وضع مصنف على طريقة أهل الحديث في الطهارة والصلاة من أمهات الكتب مباشرة تماما مثلما فعل ابن تومرت قبله [1]وتولى بنفسه إملاءها على الرعيّة وأجزل العطايا والنوال لمن يحفظه .كتشجيع لمذهبية على أخرى.

ويروي المراكشي حادثة الإحراق هذه في موضوع آخر مستقل وذلك عند ذكره لدخول أبي بكر بن الجد ت 556هـ ،الذي يقول عن نفسه :"لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخول وجدت بين يديه كتاب ابن يونس فقال لي :"... يا أبا بكر أنا أنظر في هذه الأراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أو أكثر من هذا فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأيها يجب أن يأخذه المقلد ؟يقول أبو بكر : فا فتتحت أبين له ما أشكل أن يأخذه من ذلك فقال وقطع كلامي يا أبا بكر ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف وهذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف ".[2]

وبناءا على هذا الطرح الذي أورده المراكشي الذي سلم جملة وتفصيلا على إكتساح المذهب الظاهري لربوع المغرب العربي في هذه الفترة هو منطوق قوله عن ابن حزم معجبا به -كقرينة - :"...أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكرا ... وقد كثر أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم".[3]

[1] المصدر نفسه ،ص:231.

[2] نفسه،ص:232.

[3] نفسه ،ص:233.

وفي هذا الموضع بالذات أي عن نسبة الموحدين ومشروعهم للمذهب الظاهري والذي يبدو عليه كثير من الجزافية والمبالغة [1]بحكم أنّ الرحّالة الدمشقي إبن حمّويه ت 642هـ وصف لنا الأمر من زاوية أخرى تصور لنا شخص المنصور تصويرا آخر بعيدا عن نسبته للظاهرية كمذهب له أصول فقهية فنية يقول :"والذي علمته من حاله أنّه يجيد حفظ القرآن ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاما بليغا وله فتاوى مجموعة حسبما أدى إليه اجتهاده ".

يقول الأستاذ بولطيف :"ويمكن القول في كثير من الإطمئنان بأن رواية الرحالة الدمشقي تتقدم في الأهمية بغيرها من الروايات كمنحى رواية عبد الواحد المراكشي الذي لم يكن أيام حادثة الإحراق لا يتجاوز سن العاشرة إلا بقليل حيث قدر لابن حمّويه أن يتصل بالمنصور ويحظى بخدمته "[2]ويصرح في موضع آخر بميل المنصور إلى مذهب أهل الحديث فمن اين جائت تهمة الظاهرية إذا" [3]

صحيح أن الظاهرية أو بالأحرى الأخذ **بظاهر النص** انتعش بين سنوات 580هـ إلى 610هـ ،إلا أن عوائدها هذا المشروع لم يبلغ الغاية المنشودة والمسطرة هذا مايعبّر عنه محدودية مكانة العلماء من أهل الظاهر مقارنة بالمكانة الرفيعة للمالكية كما سنرى فنجد أقصى مبلغ بلغوه أن أستقضوا باشبيلية وقتا ،ولم يزد أحدهم على ملازمة الإمامة والأذان للمسجد والجلوس للإقراء في الكتاب [4]

هذا مقارنة بالمكانة الرفيعة التي نالها المالكية وبالخصوص محنة الفقهاء [5]فنجده قد وضعهم في خدمة مشروعه كابن القطّان ت 628هـ،والذي وضع بدوره كتابا جمع فيه الأحداث الصحيحة ورتّبه على

[1]لخضر بولطيف،الفقهاء المالكية و التجربة السياسية الموحديةفي الغرب الاسلامي،رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي،قسم التاريخ جامعة الامير عبد القادر قسنطينة،2002م.ص:160

[2]هو رحالة دمشقي ت 642هـ،زار المغرب في حدود سنة 594هـ ولبث إلى غاية 606هـ ينظر لخضر بولطيف المرجع السابق ص:159

[3]لخضر بولطيف ،المرجع السابق ،ص:180.

[4] نفسه ،ص:164.

[5]أي علماء الفقه الذين برعوا في علم الحديث أيضا.

أبواب الفقه وكذا أبو الخطاب بن واجب ت 614هـ،والأخوين حوط الله أبو مُحَمَّد ت 612هـ ،وأبو سليمان ت 621هـ اللّذين قلدا القضاء في أكثر من حاضرة من حواضر المغرب والأندلس [1]وذلك دون أن يتخلَّوا عن صلتهم بالمذهبية المالكية واخوانهم من علماء الفروع في اتفاق معهم على أصول المذهب وكثرة تفريعاته كردّ على الظاهرية تماما مثلما فعل الإمام أبو يزيد السهيلي ت 531هـ والذي رفع مصنفا للسلطة الموحدية بين فيها ذلك [2]فهذا إن دل على شيئ يدل حتما أن المالكية على مبلغ المكانة المناطة لهم لم يجدوا حرجا في الصدع برؤاهم وماتوصلوا إليه من دحض أهل الظاهر بمرأى من السلطة الموحدية ،هذا الأمر يحمل في طياته تمرير هذه الأقوال بمرأى من السلطة التي لم تقف ضدًّا عليهم في هذا .

دون أن ننسى أن المشروع الموحدي كاد أن يحقق مجالا أوسع للقبول بسبب ما فعله المنصور من آليات لتفعيل ذلك خصوصا بعد تداعيات الأرك 609هـ إلا أن الأمر لم يتوفق عنده بل إستمر نفس المطلب على عهد خلفه الناصر 575هـ والذي لم يدّخر جهدا هو كذلك لإتمام مسعى من سبقه من البيت الموحدي حينما أوعز إلى قاضي قضاته ابن الصَّيقل ت 609هـ أن يأمر قضاة المغرب أن يحكموا بمحصَّل الظاهرية [3]لكن على مايبـــدو أن هزيمة العقاب كانت قاصمة الدولة ومشروعها معا.

كل هذه المساعي الموحدية في تفعيل مشروعهم إلى أبعد نطاق نجد لها أثارا سلبية ساءت لحدّ ما الفقهاء المالكية الذين رأَوا الخطر العظيم الذي تطبّعت عليه العامة وهذا منطوق قول الفقيه ابن المناصف ت 622هـ ،الذي ينقل ذلك ويتحسر منه :"إنتهى الحال اليوم إلى أن ينظر أحد العوام في أوراق من الفقه أو الكلام ويقدم في الخوض فيما يهلكه أو يقف على مسائل من الخلاف فيختار منها بحسب ما يوافق من شتات المذاهب ثم يتصدر القول ...ولقد أخبرني غير واحد عن رجل من

[1] لخضر بولطيف ، المرجع نفسه، ص:165.

[2] نفسه ،ص:166

[3] اسماعيل أبن الاحمر المصدر السابق،ص:19.

العامة أعرفه الأن ممن وقف على كلام بعض أهل الظاهر من غير تفهم لمعانيه ولا ملاقاة شيخ فيه أنه افتى الناس ... وعن آخرين يفتون في عظيم النوازل على حسب أغراضهم مما قد سمعوه فلم يفهموه أو قاسوه فلم يعرفوه ..."[1]

فهذا الحال لم يرض الفقهاء المالكية الذين ذهبوا في حملة مضادة لهذا المشروع الموحدي فألف جماعة كثيرون منهم أسفارا من الردود بوالتأصيلات مجابهة لهم كأبي بكر بن أبي حمرة المرسي ت 599هـ ،الذي صنف في الذّب عن المذهب المالكي والإنتصار للنهج الفروعي كتبا منها :التقليد المؤدي إلى النظر السديد، ونتائج الابكار ومناهج النظار في معاني الأثار وذلك بعد سنة 590هـ على قول ابن اللآبار الذي قال أنه ألفه بعدما أحرقت المدونة [2]

وكذلك كتب الفقيه أبي الحسن بن عمر الوادياشي ت 609هـ،الذي ألف كتابا :"الترصيع في شرح مسائل التفريع [3]وكذا الفقيه ابن زرقون الذي ألف كتاب المحلى في الرد على المحلى [4]الذي امتحن من قبل المنصور والذي دعا إلى تدريس الفقه المالكي وفروعه ، والفقيه أبو القاسم القرطبي بن بقي ت 625هـ،الذي انتصب للإقراء بعد موت الناصر وهو نفسه الذي صدر أمر الإحراق في وقت توليته خطة قضاء الجماعة (592هـ-596هـ)[5]

ومن خلال ماسبق ذكره عن موقف السلطة الموحدية من الفقه المالكي يظهر لنا أن عمليه الإحراق كانت نسبية غير مفعلة على نطاق واسع أي محدّدة في زمان ومكان معيّن في الغالب في مدينة فاس بوصفها حصن المالكية في ذلك الوقت إجتمع فيها علم القيروان وقرطبة ، والدليل على ذلك ما أورده الاستاذ لخضر بولطيف في أنّ المرينيين بعدما ظهر أمرهم استقدموا نسخا من المدونة

[1]الونشريسي،المصدر السابق ،ج:2،ص:502.
[2]ابن الابار،المصدر السابق ،ج:2،ص:563.
[3]ابن الزبير ،صلة الصلة ،تح:لفي بروفنسال ،ص:112.
[4]ابن فرحون ، مصدر سابق ،ص : 44.
[5]ابن الأبار ،مصدر سابق،ج:2،ص:616.

وحصّولها دون عناء يذكر من الأندلس وكذلك تبين لنا أن جملة ماكان يرمي إليه المنصور هو الحدّ من نفوذ الفقهاء الفروعين الذين رأى فيهم خطرا على علو شأنهم فوق السلطة الزمنية إذ كيف يكون غير ذلك وهو نفسه الذي قرّب المحدثين من أعلام المالكية إليه على حساب غيرهم من أتباع المذهب الظاهري.

المبحث الثالث :

- **نماذج من محن العلماء على العهد الموحدي :**

تنوعت ضروب الإمتحان الموحدي على العلماء ونخص بالذكر هنا طائفة الفقهاء المالكية وطائفة المتصوفة بإعتبار أن الفقهاء المالكية هم محور المناقشة وأكبر مناهض للمشروع الموحدي الذي رأيناه في العنصر السابق من المبحث الثاني ،والمتصوفة بإعتبارهم طائفة تمثل نسبة التموقع الثاني بعد المالكية والتي بدأت تشكل حركة طالما ضايقت الوجود الموحدي في سيرورتها نحو السلطة كما سنرى.

من خلال ماسبق ذكره من موقف الموحدين من الفقه المالكي ورجاله فعّلت السلطة هذه القرارات على أرض الواقع بمنحى عملي أكثر صرامة وفاعلية من مجرد قرار سياسي ،فراحت تشن كل مايمتّ للرّدع والإظطهاد بصلة على كل من تسوّل له نفسه من مشاركتها في زخم الحضور السياسي فطالت يد البطش- في ضروب شتّى من قتل وتعذيب ونهب وتغريب -كلّ من يمثل التخريب والحياد بعيدا عن شرعيتها .

وفي ذكر هذه المحن تبدأ فكرة -حكم المنصور- على أنها الفترة المحورية في شدّة التوتر وتقوي السّخط الموحدي على فقه الفروع ومن ثمّة يأتي ذكر الفترات سواء السابقة أو اللاحقة تبعا لذلك.

لم تكتف السلطة في عهد المنصور بأمر إحراق الكتب الفروعية كما ذكرنا بل نجده امتحن كثيرا من فقهاء المالكية كالفقيه الكبير ابن **زرقون** صاحب كتاب **تهذيب المسالك إلى تحصيل مذهب مالك** [1] فأحرقت مكتبته التي ورثها عن أبيه الفقيه **أبي الحسين بن زرقون** والتي حوت نفائس كتب الرأي [2]

[1] ابن فرحون ،مصدر سابق،ص:ج:2،ص:260.

[2] ابن الآبار،مصدر سابق ،ج:6،ص:444

وامتحن أيضا صديق **إبن زرقون** ورفيق دربه **مُحَمَّد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي** ت (**596**هـ)والذي وشيّ به بعد تلفيق تهمة الخوض في الفروع [1]فما كان منه إلا أن اعتزل الناس ولزم بيته حتى توفي [2]

ونجد حدة هذا التّنكيل قد عرفت طريقها إلى العلن قبل فترة المنصور وذلك تماما ماحدث في عهد يوسف بن عبد المؤمن الذي قتل إثنين من كبار علماء شرق الأندلس [3]وكذاالقاضي مُحَمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن خرز الحكمي ، المعروف بابن سعد العشيرة الغرناطي والذي وشي به فقتل مظلوما .[4]كما سجن أحد كبار حفاظ المذهب المالكي في المغرب وهو عبد الله بن مُحَمَّد بن عيسى التادلي ت 596هـ و غرّب إلى مكناسة حيث توفي بها وسجن معه أبو عبد الله مُحَمَّد بن عياض ت 575هـ [5].

ووصل الأمر بالفقهاء المالكية المذعورين إلى ترك ديارهم وفرّوا إلى المشرق مثل أبي الوليد بن عبد الله القرطبي المالكي الحافظ (ت 551هـ) والذي خرج فارًّا إلى مصر من طلب الموحدين له خوفا منهم [6]

ونجد طائفة أخرى من الفقهاء الذين أصرّوا على تدريس فروع المذهب فنالهم حظ من السجن ويتعلق الأمر بالفقيه أبي بكر الجياني الذي أصرّ كما قلنا على تدريس الفروع فانتهى الأمر به في السجن الذي توفي به سنة 596هـ بعدما إمتحنه أبو يوسف المنصور الذي عذّبه لإصراره على ذالك

[1]احمد بن مُحَمَّد المقري ، ،مصدر سابق ،ص:ج:2،ص:261.
[2]إبن الآبار، مصدر سابق ،ص:ج:1،ص:557.
[3]التنبكتي ، مصدر سابق ،ج:2،ص:261.
[4] مُحَمَّد بن عبد الملك ، الذيل والتكملة المصدر السابق ،ص:205.
[5]أحمد بن القاضي المكناسي ، مصدر سابق ،ص:205.
[6]ابن فرحون، الديباج،مصدر سابق ،ص:322.

،وهذا منطوق قول الشاطبي رحمه الله ت790هـ،الذي سلّم بأن الموحدين أقدموا على ذلك التنكيل بالفضلاء جرّاء أخذهم بفتاوى الإمام مالك [1].

ومن أمثلة ذلك نجد الفقيه أبا بكر بن خلف الداني الذي كان عالما بالأحكام والذي إمتحن في آخر عمره وإعتقل بمرسية وتوفي بسجنها [2].

وغيره ممن عمهم القتل كثر، كالفقيه طارق بن موسى المعافري [3]وابن الفقيه أبي بكر الغربي الذي قتل أثناء دخول الموحدين إشبيلية وذبح الإمام المومناني وابن الياسمين ومثّل بجثته والفقيه ابن الفردوس الخزرجي الذي حزّ رأسه وعلق على ابواب الحوانيت.[4]

وهناك نوع من أنواع الإظطهاد وهو التغريب أي الترحيل بعيدا عن الأهل والديار ومن هذا الصنف نجد أبا مُحَمَّد بن عيسى الفاسي ت 597هـ،الذي توفي بمكناسة مغربا عن وطنه وأبا الفتوح بن فاخر الإشبيلي ت 636هـ،والذي توفي بمراكش مغربا وأبا مُحَمَّد بن الخطيب البجائي الذي غرب إلى الأندلس ت 620هـ،[5]

ومن الأمثلة التي ذكرنا نجد أن التهم الموجهة ضد هؤلاء كانت تدور حول التآمر والخيانة وذلك كذريعة إلى التنكيل بهم أو سبيلا إلى ذلك في غالب الأحيان وعلى هذا المحمل روى إبن

[1]إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، الإعتصام ،تح:سليم بن عبيد الهلالي،دار ابن عفان، المملكة العربية االسعودية،1992م،ط:1،ج:1ص:171.

[2]إبن الآبار ، المصدر السابق،ص:234.

[3]هو الفقيه أبو جعفر طارق بن موسى المعافري أخذ من إبن هذيل وابن العربي كان مشتغلا بالحسبة ،ت 556هـ ،ينظر : ابن الأبار ، المصدر السابق،ص:234

[4]عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج:6،ص:336.

[5]ابن الزبير ، المصدر السابق،ص:534.

عذارى في ذكر حوادث سنة 567هـ من أن والي بجاية أقدم على قتل الفقيه أبي جعفر بن الأنصاري وجماعة من أهل المدينة ظلما وعدوانا بعدّة تهم لفّقت بشهادات زور حول قيام هؤلاء على الإمام [1]

ومن ذلك ماشهده الفقيه أبو عبد الله الأصولي الذي كانت له حزازات مع ولاة مدينة بجاية فقتل ذبحا بها ،وفي منحى مماثل للأحداث نجد محمل السلطة على الإظطهاد هو ظلوع كثير من الفقهاء المالكية في تأييد حركات الثّوار المعارضين للسلطة على غرار ثورة الجزيري 586هـ والذي وصفته الموحدون بالدجال والمشعوذ والمفسد ،في حين نجد أوصافا أخرى له بأنه كان عالما مصلحا ينقم على الموحدين أمر سيايتهم في جعل الخلافة ملكا لهم [2]وإهمالهم لحقوق الرعية [3]وهذا أمر لاغرابة فيه خصوصا وأن العامة إلتفتت حوله [4]

ولم ينته الأمر عند ذلك بل كانت الثورة سببا في إعتقال الكثير ممن يشتبه فيهم وقتل أعداد منهم كالقاضي أبي جعفر بن أبي غالب الداني قاضي مالقة الذي أمر المنصور بجلده ألف سوط مات منها [5]ومثيله الفقيه أبا مُحَمَّد بن عبد الصمد المالقي الذي قتل هو الآخر تبعا لأحداث ثورة الجزيري سنة 586هـ.

فتنوع هذه الحالات التي ذكرنا تكاد تلتقي جميعها حول رغبة الفقهاء في تغير الوضع وبالتالي سوس العامة كسلطة دينية مناهضة للموحدين والفاسدة في نظرهم [6]

وبالتالي جابهم الموحدين بمنطق القوة بعدما رابهم مايتمتعون به من الحضور المتين والقوي في ظل دولتهم التي تتعرض دوما لإنتقادات هؤلاء الذين يقومون بذلك وفق منحى ديني بحت.

---

[1] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق ،ص:129.

[2] لخضر بولطيف ،مرجع سابق ،ص:226.

[3] المقري، نفح الطيب .مصدر سابق ،ص 66.

[4] ابن عذارى المراكشي،مصدر سابق ،ص:208،209

[5] ابن الابار ، مصدر سابق ،ج:2،ص:138.

[6] لخضر بولطيف،مرجع سابق ،:226،227.

كما نال الفقهاء المالكية ألوانا من التنكيل لإلتفافهم حول ثورة بني غانية [1] ويذكر الغبريني في ذلك أن إشتداد الوطأ الموحدي كان على الذين ظهر منهم العصيان في ذلك [2]

كما كانت الحزازات الشخصية باعثا على إظطهاد هؤلاء مثلما ذكره ابن عبد الملك [3] حول مانال ابن رشد الحفيد من نكبة كان سببا صحبته لوالي قرطبة أبي يحي أخ المنصور [4] الأمر الذي أثار جسد أهل قرطبة فسعو للإطاحة به [5] كما لفقت له تهمة الإشتغال بالفلسفة والمروق عن الدين [6] تماما [6] تماما مثلما حدث لبعض أصحابه كأبي عبد الله الأصولي ومُحَمَّد بن أحمد التجيبي [7] إلا أن رواية صاحب المعجب ترجع ذلك إلى السبب الأول الذي ذكرناه أنفا من أن المنصور اتخذ ذلك ذريعة لأمور أخرى نقم منها ، لأن الفلسفة لم تكن ممنوعة في عهده ولا عهد أبيه يعقوب من قبل .[8]

كما ولم يكن الفقهاء وحدهم من نالهم هذا الحظ من الإظطهاد طالما المبرر موجود وهذا ما حدث مع طائفة أهل التصوف الذين شكلوا خطرًا على السلطة السياسية للموحدين والذين إكتسبوا طابعا قوميا كنظام روحي بديلا عن فشل السلطة في إحتواء المشاكل التي تعدّدت في المجتمع هذا ما

---

[1] **بنو غانية** : ينتسبون ألى أمهم غانية كعادة المرابطين في التسمية بأمهاتهم كتميز لبعضهم عن بعض، نظرا لتعدد الزوجات في ذلك المجتمع وهذه المرأة غانية بتشديد الياء يعود أصلها إلى غانا نسبة إلى موطنها وينتمي بنو غانية الى قبائل مسوفة البربرية التي تمتد مضاربها الى الصحراء بين سجلماسة وأدغشت جنوبا وقد تمتع هذا الفخذ بنفوذ واسع أيام المرابطين منذ بداية حركتهم ،ينظر:واعظ نويوة ،أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ،س: 2008/2007م،ص:20.

[2] ابو العباس احمد بن مُحَمَّد الغبريني ،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تح:رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،د ت،دط،ص:37.

[3] ابن عبد الملك، مصدر سابق ،ص:171.

[4] يوسف بحري مرجع سابق،ص:153

[5] ابن عبد الملك،مصدر سابق ،ص:25.

[6] ابن الأبار، مصدر سابق ،ج:2،ص:141.

[7] ابن عبد الملك ، مصدر سابق،ص:76.

[8] عبد الواحد المراكشي،مصدر سابق،ص:314،315.

جعل العامة يلتفّون حولهم ويتحزّبون عليهم [1]فاستدعي أبو يعزى إلى مراكش عقب دخول الموحدين لها سنة 541هـ فلما وصلها حبس في صومعة الجامع أياما عديدة ثم خلّيَ سبيله [2]وفي نفس السنة أشخص شيخه أبو شعيب أيوب السارية [3]

وفي خصوص ذلك نقل الى عبد المؤمن كثرة أتباعها والتفاف الشعب حولهما وقبل له :"هذه الجموع يخشى على الدولة منها مما أدى به الى تتبّع أخبار أبي يعزى مرة ثانية بعد صرفه [4]ومن أبرز من أرسل في طلبه من المتصوفة تلميذ أبي يعزى أبو مدين شعيب (ت 594هـ) [5]والذي حمل أمره إلى المنصور على أنه من أرباب القوم الذين كثر مريدوهم وتشبهه بالمهدي في مسائل الكرامة والولاية وأن أصحابه في كل مكان وإقليم [6]فما كان منه إلا أن بعث اليه ليختبره

كما شهد عصر المنصور إستدعاء كل من إشتبه في أمره من المتصوفة ليمنعه ويختبر حاله تخوفا من أمرهم وخطر ثورتهم إلا أن الروايات التاريخية تسلّم بإحتواء السلطة الموحدية لتيار التصوف موازاة مع امتحانهم وإختيبارهم والروايات في ذلك كثيرة متواترة في المصادر تدل على أن الموحدين ألانــوا الجانب، أيضا لهؤلاء كإجراء مماثل لما فعله المرابطون من ذي قبل فتارة يشدون الحبل بمنطق القوة والنفوذ وتارة يرخون جانب الحبل مهادنة واستعطافا باعتبار أن الخلفاء الموحدين نسبوا في كثير من الأحيان إلى الورع والتنّسك أيضا كالمنصور الذي وضع في خانة الأولياء والأصفياء. [7].

---

[1]ينظر: إبن الأبار وذلك من خلال ترجمته لأبي الحسن بن سعدوك البلنسي ت 578هـ،وأبو إسحاق بن دهاق المرسي ت 611هـ والذان كانا من أهل التصوف بدليل ورود تحزب العامة حوله في ترجمة كل منهما .ج:2،ص:150.

[2]الصومعي أبو العباس أحمد بن القاسم الهروي التادلي ،المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ،تح:علي الجاري ، الرباط ، منشورات كلية الآداب ،1996م،دط ،ص:68،69.

[3]هو أبو أيوب سعيد الصنهاجي من أهل أزمور ، لقب بالسارية لطول قيامة في الصلاة ينظر:ابن الزيات،ص:187،192.

[4]الصومعي، المصدر السابق ، ص:115.

[5]وهو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي دفين مقبرة العباد بتلمسان عرف بشيخ المشايخ لسبق تقدمه في التصوف التصوف ، ينظر ابن مريم مصدر سابق ،ص:108،114

[6]الصومعي ، المصدر السابق،ص:164

[7]المقري، مصدر سابق،ص:142.

المبحث الرابع:

- تداعيات المحن على الفقه المالكي و تيّـــار التصوف:

لقد إضطرّ الموحدون إلى التعامل بشكل مستمر مع فقهاء المالكية الذين كانوا يشكلون الإطار الهيكلي الذي ارتكزت عليه دولتهم بصورة عملية إذ لم ينتزعوا منهم مهمّة توجيه القانون العام. إلا أن الموحدين رابهم أن يتمتع الفقهاء بكل ذلك الحضور في الدولة التي كانوا من ألّد خصومها ولذلك نجد الموحدين قد حاولوا تحجيم دور أولئك والحد من نفوذهم إلا أن الظروف كانت أقوى من تفعيل ذلك على أرض الواقع ، فضلا عن قصور الآليات و الوسائل في ذلك.

ويظهر حضور الفقهاء في الحياة اليومية للموحدين على أكثر من صعيد فبرعوا في تولي مناصب عدة لم يكن لغيرهم الفرصة و الكفاءة في تبوّئها وذكر هذا من حسنات الموحدين الذين كيّفوا خبرات أولئك الفقهاء على حسب حاجاتهم لهم .فنجدهم ولّوا قضاء الجماعة لأولئك كعامر بن يحي بن عبد الرحمان الذي تولى قضاء الجماعة بقرطبة وغرناطة [1]ونجدهم كذلك تولوا قضاء العاصمة الموحدية مراكش بأمر من الخليفة نفسه كأبي جعفر أحمد بن مضاء وأبي القاسم أحمد بن يزيد وأبي يوسف حجاج بن يوسف وأبا عمران ابن عمران [2].

كما نجد البيت الموحدي قد قرّب عددا لا يستهان به من الفقهاء لأسباب عدة تمحورت حول تشجيع الخلفاء على العلم والكفاءة والنباهة المتوفرة في هؤلاء إلى أن وصل الأمر بتوليتهم لنيل رضا الرعية [3].

[1] ابن فرحون ،تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، ،تح:جمال مرعشلي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 2001م ، ط:1،ص:9.

[2] يوسف بحري مرجع سابق،ص:120.140.

[3] نفسه ،ص:159،165.

كما نجد من جهة أخرى أن الفقهاء المالكية قد صمدوا صبرا على مذهبهم واستماتوا من أجله مصورين لنا ضروبا في التعصب لمذهبهم فابن رزوق مثلا من كبار المتعصبين للمذهب رغم معايشته للنقم الموحدي على فقه الفروع وعبدالله بن حسان الغافقي الذي كان لا يخرج عن المشهور في المذهب في الإعتناء بتصانيف حفظا وتدريـــسا .. [1]

إلا أن الملاحظ من خلال ماسبق ذكره نجد أن الموحدين ورغم مساعيهم على علم الفروع ومحاولة محو أثره بالرجوع إلى الأصل من نص قرآني وحديث لم يحاربوا المذهب المالكي وإنما ناهضوا الفقهاء في جعلهم لمؤلفات الفروع أصلا إستنبطوا منها أحكام الشريعة في نظرهم وعلى الرغم من أن نقطة الصدام هذه لا تزال بحاجة للدراسة المعمقة إلا أن الدارس لها يستفيد من استطراد نتائجها كازدهار علم أصول الفقه و الاتجاه نحو طرق الاستدلال.على الاحكام الشرعية.بالأثر و النص.[2]

فإزدهر هذا العلم أيمّا إزدهار بسبب مطالبة المشروع الموحدي بإستبدال المذهب المالكي بمذهب أهل الحديث هذا ما جعل الفقهاء المالكية ينشطون أكثر من خلال دراسة أصول الفقه المالكي وأدلة الأحكام إذ لم يكن هذا العلم معروفا قبل عصر الموحدين في المغرب ولعل هذا المنحى بدأ منذ عصر ابن تومرت والذي فرض على المالكية فيما بعد ، فالموحدون أرادوا من دراسة أصول الفقه تحقيق تأصيل الأحكام الشرعية وهو ماقام به ابن تومرت تماما بتحقيقه في كتابه أعز مايطلب حيث تكلم فيه عن معرفة الأصل والطريق إلى إثباته وتكّلم عن الفرع وعن إستحالة ثبوت الفرع دون أصل وذلك بعرض المسألة وسياقة الحجج على ثبوتها دون الخوض في الفروع والأراء المتعددة [3]

وبعده أي ابن تومرت حمل أتباعه نفس الأسلوب كالمنصور مثلا والمهم من هذا كله أن تأثير الاجراء على الفقهاء المالكية الذين لم يفرّطوا في منحاهم الفروعي قابلين لسلطان الأمر الموحدي في

[1] ابن فرحون الديباج ،ص:205

[2] أصول الفقه في الإصطلاح : معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية ودراسة أسباب حمل الإجتهاد الفقهي على طرق المذاهب الأربعة ، ينظر: ابن خلكان ، الاحكام في أقوال الأحكام ،مصدر سابق.ج:1ص:573

[3] عبد المجيد النجار ،مرجع سابق ،ص::45،52.

الإتجاه نحو علم الحديث فكان من ذلك علوّ كعبهم في علم الأصول أيضا ومن أمثلة ذلك من تصدر فيه ونبغ نجد:أحمد بن مُحَمَّد الواداياشي ت 562هـ،كان فقيها عارفا بالأصول [1]وعلي بن مُحَمَّد الإشبيلي ت 567هـ،الذي أتقن علم أصول الفقه وبرع فيه ،وأبو الوليد مُحَمَّد بن رشد القرطبي ت 595هـ،الذي دعى إلى الإهتمام بأصول الفقه وصنف كتابا الضروري في أصول الفقه [2]وأبو بكر مُحَمَّد بن أحمد بن أبي جمرة المرسي ت 599هـ،ألف في أصول الفقه كتاب نتائج الأفكار ومناهج النظار في معاني الأشرار وكتاب إقليد التقليد المؤدي إلى النظر السديد [3]وعلي بن مُحَمَّد بن عبد الملك القطان ت 628هـ والذي نهج في مؤلفاته نهجا تأليفيا بعيدا عن نهج الفروع [4]

وبهذه التأليفات على سبيل المثال أصبح المذهب المالكي أكثر تفتحا ومرونة من ذي قبل على النصوص.

فإذا أمعنا النظر في مالكية القرن السابع نجد أن تكوينهم وثقافتهم وعطاءاتهم لم تعد تقتصر على كتب الفروع والرأي بل نكبوا على علوم الحديث موازاة في ذلك.لغهم محامل الفقهاء من خلال علم الأصول.

وعلى الرغم من إنتعاش المذهب الظاهري ولو مرحليا في هذه الفترة إلا أن المستفيد الأكبر كان للفقهاء المالكية الذين تأصّلوا أكثر في المسائل كابن الحاجب 646هـ،الذي يعرف برجل المختصرات صاحب كتاب جامع الأمهات المشهور بالمختصر والذي جمع فيه أكثر من ست و ستين ألف مسألة في كلام مختصر باختصار الفقه رجوعا إلى الأصول والذي قال فيه ابن خلدون ":إن

[1]الداودي ،المصدر السابق،ص:78

[2]ابن الأبار .المصدر السابق،ص 73،74.

[3]نفسه ،ص:79

[4]ابن القطان ،مصدر سابق،،ص:16،18.

صاحبه لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب [1]

وبنهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني عاد علم الفروع أقوى من ذي قبل لينشر المذهب من جديد ونهائيا [2]

وما يمكن استخلاصه مما سبق أيضا من أن هذه المحنة طالت كل من تنامى حضوره كتيار معارض سواءا الفقهاء أوالمتصوفة ،فأفرزت لنا نوعا من التطور في مجال التصوف وآلياته غير التي كانت معروفة من ذي قبل ويمكن ذلك في سلطة علم الباطن والذي يرتبط بحضور المتصوفة في الحياة اليومية للعامة كبديل سلطوي للسلطة الموحدية في أواخر عهدها هذا ما جعل صورتهم في أذهان العامة تتنامى على أنها بديل روحي أكثر فاعلية خصوصا في كونهم أندادا للسلطة الحـــــاكمة [3]بدفاعهم عن العامة المستضعفين. [4]

وهذا ظاهر من خلال العلاقة بين سلطة عبد المؤمن وسلطة أبي يعزى المتصوف التي عكست الصراع بين السلطتين المتنافستين على الحكم بين سلطة دينية ممثلة في تيار التصوف و سلطة زمنية ممثلة في البيت الموحدي.

ويبقى موضوع سلطة المتصوفة كبديل للسلطة الزمنية المتراجعة أو سلطة الحكومة الباطنيـــــــة [5]يستدعي كثيرا من الدراسة والتعمق أو مايعرف ببداية التفرع في الطرق الصوفية من

[1]عبد الرحمان بن خلدون ،المصدر السابق ج:6،ص:571.

[2] مصطفى مغراوي .التحولات المذهبية في المغرب والأندلس خلال العصر الموحدي ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط،المدرسة العليا للأساتذة : الجزائر،2012،2011م،ص:36.

[3]لخضر بولطيف ، مرجع سابق ،ص:242.

[4]ابن الزيات ،مصدر سابق ،ص:246.

[5]ينظر :لخضر بولطيف،مرجع سابق ،ص:240.

أمثال تلاميذ أبي مدين شعيب و تلاميذ تلاميذه كأبي العباس التيجاني تلميذ بن حرزهم وتبوؤهما مكانة عليّة في الحياة العامة لا سيما إمتزاجه بعودة النشاط الفروعي للفقه المالكي من جديد.

خاتمة

على الرغم من العقبات والحزازات التي إعترت طائفة الفقهاء في مسيرتهم النضالية تبعا لسلطة النص وما أفضت إليه من توجيه روحي في مسعاهم الديني ، نجد المحن التي عاشها هؤلاء- رغم العناء- أفرزت لنا **منحـــــاً** كثيرة لعل أهمها تلك العصبية الدينية التي فرضت نفسها قهرًا على ساحة الفكر منذ الأيام الأولى لدولتي الأغالبة والعبيدين نتيجةً لطول نفس أولئك العلماء الذين إعترتهم السلطة بسطوتها و قوتها فلم يفت ذلك في عودهم و لم يثن من عزيمتهم. .

أما بالنسبة لدولة المرابطين والموحدين فلم تُجد وسائل كل منهما نفعاًفي قمع المعارضة الفكرية بل زاد ذلك من حدة النشاط وحركيته ،هذا مايجعلنا نقول أن العصبية المذهبية تتولد وتتقوى بشكل إطّرادي مع منطق القوة والغلبة .هذا ما ينبه أكثر عل ضرورة الاحتـــــواء و المعالجة.

إنّ تفرّد المالكية بالسّبق في ساحة المذاهب والتيّارات السنيّة في المغرب، في عصري الأغالبة والعبيدين طيلة قرنين من الزمن ،جعلها توطن لنفسها قاعدة متينة ظهرت معالمها في دولة المرابطين والتي في حدّ ذاتها جعلت طائفة التصوف وعلم الكلام يشتد عودها من خلال موقفها المتحفظ منهم،حتى ظهرت كحركة معارضة مثل حركة المريدين والموحدين كما رأينا ،ثم تأتي فترة الدولة الموحدية التي فعلت موقفها من فقه الفروع على نطاق واسع فأسهم ذلك في نماء علم أصول الفقه المالكي كتوفيق من الفقهاء المالكية بين مبتغى السلطة وخصوصية الإتباع ؛تجنّبا لموقف البيت الموحدي الناقم لعلم الفروع الأمر الذي ظهر في عودة نشاط المذهب في قوة غير مسبوقة في عصر المرينين بعدها .

كما أن المحن ساهمت في إلقاء القبول في هالة مهيبة من الإحترام والتقدير على الفقهاء الذين صبروا في سبيل دينهم ومنهجهم الدعوي .و لعل قول الدباغ السابق الذكر كافّ في ذلك.

أما بالنسبة للدولة المرابطية وموقفها من التصوف لم يكن موقفا يحمل كل ماقيل عنه من شمولية وإنما هو إجتهاد رأت طائفة من الفقهاء صوابه ، بناءا على إجتهادات وأقوال واردة وصحيحة في مجملها حفاظا على العقائد السليمة ،كما رأينا أنّ العلوم العقلية عرفت نشاطا قويا كغيرها من العلوم ، هذا ما ينفي تماما ضخامة ما قيل عنها من أحكام. إضافة الى هذا، ذلك التمازج بين

تفعيلات المرابطين تلك و بين مراجعات الغزالي رحمه الله في كتابه إلجام العوام في أواخر عمره. وتموقع هذه المعطيات بين مواقف الفقهاء السابقة الذكر ؟؟؟؟

أمّا توصلنا إليه– ولو نسبياً–عن دولة الموحدين وموقفها من الفقه المالكي ،فإنّه لم يكن موقفا عمّ جميع الرقعة الجغرافية للدولة ولم يطل المذهب المالكي ككل بل كان الهدف واضحا في تحجيم نفوذ الفقهاء المالكية الفروعين على الخصوص ، بدليل أنّ هذ ا الموقف خمد كليّة بعد ولوج هؤلاء الفقهاء علم الحديث وبراعتهم فيه ،هذا ما جعل البيت الموحدي يقرّبهم ويغض الطّرف عنهم .

و ممّا توصّلنا إليه كذلك أنّ قضية إحراق الكتب، لم تقلل من قيمته الموضوعية بل زادت مكانتها ومكانة أصحابها ،حتى أصبحت تتبوّء مكانة عليّة في نفوس طلبة العلم وعامة الناس .

إضافة إلى هذا كلّه و ممّا يتعلّق بالمحن عموما ذلك التداخل بين أسباب المحن وآثارها كالتداخل بين الاعتزال وعلم الكلام وبعض مبادئ الإباضية ،فجلّهم يُعملون العقل مفرطين فيه ،هذا ما يقودنا إلى نتيجة مفادها أن ذلك التطاحن الفكري كان مبنيا على الصراع الدائر بين العقل والنقل . بيد أنّ الإختلاف كان في درجة تطبيق كل جانب على الآخر.

أما بالنسبة لموضوع المحن فيمكن الإستفادة منه كقدوة عملية في تكوين حصانة معرفية ،لما تعاني منه قضايا الساحة كالصراع القائم بين فريقين يرى أحدهما الخلاص في الرجوع إلى حُضن الفقه المالكي أصولا وفروعا بعيدا عن حركة تحمل نسائم ظاهرية تتدرع باتباع الحديث وإعمال النص مباشرة تماما مثلما حدث في زمن الموحدين وفريق آخر يرى أن مطلبه أحق بأن يكون بدعوى أن مالكية اليوم على بون شاسع مقارنة بمالكية الأمس في الإتباع ،لذلك كانت ضرورة الرجوع إلى الإجتهاد متدرعون بالنفس ما تدرع به الناقمون على الدولة المرابطية .

لذا ،ختاما لموضوعنا يبقى موضوع محن العلماء في الغرب الاسلامي من أهم المواضيع التي تتطلب مزيدا من الدراسة و التحليل لفهم بعض الاشكاليات التي لا تزال مبهمة لأننا في حاجة ماسة لمعرفة

تاريخنا من منصة مغايرة لتلك التي فُرض علينا اتّباعها أحيانًا كثيرة.هذا ما يجعلنا امام جبال من المسؤوليات المعرفية لمعرفة ماضينا و تفعيله على مستوى أوسع في حاضرنا.

قائمة المصادر والمراجع

أ_ المصـــــــــــادر:

1 إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي ، الإعتصام ،جزء:الأول ،تحقيق:سليم بن عبيد الهلالي ،طبعة :الأولى ،دار ابن عفان :السعودية ،سنة:1992م.

2 ابن الخطيب لسان الدين .اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ، ،الجزء الأول ،.تحقيق:أحمد مختار العبادي ومُحَّد إبراهيم الكتاني ،نشر وتوزيع دار الكتب،الدار البيضاء ،المغرب ،دون طبعة .1964 م.

3 ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس ،تحقيق:إبراهيم الإبياري ،دار الكتاب المصري ، طبعة الثانية ،سنة:1989م.

4 ابن القطان المراكشي،نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،. تحقيق :د محمود علي مكي ،دار الغرب الاسلامي ،دون طبعة ،دون تاريخ طبع .

5 إبن تيمية.شمس الدين. مجموع الفتاوى ،جمع وترتيب :عبد الرحمن مُحَّد بن القاسم ، مجلد :20، طبعة بإشراف العام لرئاسة الحرمين الشريفين ،دون طبعة ،دون تاريخ طبع.

6 ابن خلدون عبد الرحمان ،العبر وديوان المبتدأوالخبر ،تحقيق :خليل شحادة ،دار الفكر :بيروت،سنة 2000م.

7 إبن خلدون عبد الرحمان،المقدمة ،بيروت :دار الفكر ،سنة :2000 م .دون طبعة.

8 إبن خلكان ،وفيات الأعيان ،جزء:الخامس ،تحقيق:إحسان عباس ،بيروت :لبنان ،دار الثقافة ،سنة :1968م.

9 ابن رشد أبو الوليد ،فتاوى إبن رشد ،تح :مختار التليلي ،جزء:الثاني ، دار الغرب الاسلامي ،دون طبعة ،سنة :1987م.

10 ابن عبد البر ،جامع بيان العلم وفضله ، تحقبق:أبو الأشبال الزبيري ،دار ابن الجوزي :الدمام ،الطبعة :الاولى ،سنة : 1994م

11 ابن فرحون ،تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، جزء:الأول ،تحقيق :جمال مرعشلي ،دار الكتب العلمية ،طبعة :الأولى ،سنة 2001م.

12ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، جزء:1،تحقيق وتعليق : مُحَّد الأحمدي أبو النور ،دار التراث للطباعة والنشر : القاهرة .

13إبن مريم ،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،تحقيق:مُحَّد بن أبي شنب ،دار الطلاعة الثعالبية ،الجزائر.دون طبعة ،السنة :1908م.

14أبو بكر ابن العربي ،العواصم من القواصم،مجلد :الثاني ،.تصحيح :عبد الحميد بن باديس طبعة : الأولى : المطبعة الاسلامية الجزائرية .الجزائر.

15أبو بكر عبد الله بن مُحَّد المالكي ،رياض النفوس من طبقات علماء إفريقية والقيروان ،تحقيق:بشير بكوش،مراجعة :مُحَّد العروسي ،مجلد:2،دار الغرب الإسلامي،طبعة : 2 ،سنة :1994م.

16أبو بكر علي الصنهاجي ،البيذق،أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين ،تحقيق:عبد الوهاب منصور ،دار المنصور للطباعة ،الرباط،سنة:1971م.

17أبو عبيد البكري ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، جزء المسالك والمالك،مكتبة المثنى :بغداد ،دون سنة طبع.دون طبعة.

18البرزلي ،جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام ،تح:مُحَّد الحبيب ،دار الغرب :بيروت ،طبعة : الأولى ،سنة : 2000م.

19الخنشي ،طبقات علماء إفريقية ،تقديم وتحقيق:مُحَّد زينهم ،مُحَّد غرب ،مكتبة مديولي :القاهرة ،دون طبعة ،دون سنة طبع.

20الذهبي الحافظ شمس الدين ،العبر في خير من غبر ،تحقيق :أبو هاجر مُحَّد السعيد البسيوني ،دار الكتب العلمية :بيروت لبنان،دون طبعة ،دون سنة طبع .

21السلاوي الناصري،أحمد بن خالد أبو العباس ،الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصا،تحقيق:جعفر الناصري ومُحَّد الناصري،،دار الكتاب :الدار البيضاء ،دون طبعة ،جزء:الثاني ،سنة :1954م.

22السيوطي جلال الدين ،صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ، تحقيق:علي سامي النشار ،السيدة سعاد علي عبد الرزاق ،الطبعة : الأولى ،دون سنةطبع .

23الشهرستاني ،الملل والنحل ،تحقيق:أحمد فهمي مُحَمَّد ،جزء:1،طبعة بيروت: لبنان،سنة :1992م

24القاضي عياض،الغنية،مقدمة التحقيق،تحقيق:ماهر زهير جوار،بيروت لبنان:دار الغرب الاسلامي بيروت،طبعة : الأولى ،سنة : ،1982م.

25القلقشندي أبو العباس أحمد ،نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب،تحقيق:إبراهيم الأبياري ،دار الكتاب اللبناني،بيروت: لبنان ،1980م.ط:1 .

26مُحَمَّد بن الفتوح الحميدي ،جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تحقيق:بشار عواد، مُحَمَّد بشار عواد ،دار الغرب الإسلامي : تونس ،الطبعة : الأولى ، سنة 2008م قسم:2

27المقري أحمد بن مُحَمَّد التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب تح : إحسان عباس ،دار صادر بيروت ،1968 ،الجزء:الثالث.

المقري أحمد بن مُحَمَّد التلمساني شهاب الدين ،أزهار الرياض في اخبار عياض،جزء:الثالث ،تحقيق:مصطفى السقا و آخرون مطبعة :لجنة التاليف والنشر و التوزيع ،القاهرة.سنة :1939م.

28المكناسي أحمد بن القاضي ،جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ،دار المنصور للوراقة ،1973م،جزء:الثاني .

ب: المـــــــــراجع:

29إبراهيم التهامي ،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،دار الرسالة :بيروت ،2005م .

30أبو عمران الشيخ وفريق من الأساتذة ،معجم مشاهير المغاربة ،الجزائر ،منشورات دحلب ،2007م.

31أشباخ يوسف ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،جزء :الثاني ،.،تحقيق:مُحَمَّد عبد الله عنان ،مكتبة : الخانجي القاهرة ،طبعة :الثانية ،سنة:1996م .

32أمين أحمد ،فجر الإسلام،دار الكتاب العربي :بيروت لبنان ،الطبعة :الأولى ،سنة 1969م.

33بل ألفرد ،الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا من الفتح العربي حتى اليوم،:تحقيق :عبد الرحمان بدوي.طبعة :الثالثة .دار الغرب الاسلامي،بيروت.1988م

34بن بيه حمد محمود عبد الله ، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ،جامعة أم القرى ،كلية الشريعة والدراسات ،سنة :1997م.

35بن صالح ب سليمان ن عبد العزيز ،عقيدة بن عبد البر في التوحيد والإيمان ،دار العاصمة للنشر و التوزيع ،المملكة السعودية ،دون طبعة ، سنة :1996م.

36بنسباغ – مصطفى السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين،منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية :المغرب،طبعة :الأولى ، سنة:1999م.

37بوتشيش القادري ،المغرب والأندلس في عصر المرابطين _ المجتمع،الذهنيات ،الأولياء_ دار الطباعة للنشر والتوزيع :لبنان بيروت .

38بولطيف لخضر ، الفقه والتاريخ في المغرب الإسلامي ،مقاربات منهجية ،منشورات مخبر البحث التاريخي جامعة وهران ،سنة :2014م.

39جنثالث انخل بالنثيا ،تاريخ الفكر الاندلسي، تح :حسين مؤنس ،ص:20.مكتبة الثقافة المصرية،القاهرة.دون سنة طبع ،دون طبعة .

40حركات ابراهيم ،المغرب عبر التاريخ ،دار الرشاد الحديثة،جزء :الأول ،.دون طبعة .سنة :2000م.

41دندش عصمت عبد اللطيف الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني،دار الغرب الإسلامي :لبنان ،طبعة :الأولى ،1989م.

42دي بور ،تاريخ الفلسفة في الإسلام ،تر:مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريدة ،دار النهضة :بيروت،سنة :1981م.

43زغلول عبد الحميد سعد ،تاريخ المغرب العربي ،منشأة المعارف : الإسكندرية ، جزء:الرابعع ،سنة :1994م

44السائح حسن ،الحضارة الإسلامية في المغرب ،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، طبعة :الثانية ،سنة :1986م.

45شرجيلي أحمد بن الحسن ،تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية عصر المرابطين ،وزارة الشؤون والأوقاف :المملكة المغربية ،مطبعة فضالة .

46الصلابي –مُحَّد علي ،دولة المرابطين في الشمال الإفريقي ،دار المعرفة :بيروت ،طبعة : الثالثة سنة: ،2009م.

47الطالبي حمد ،تراجم أغالبية ،مستخرجة من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض،نشر الجامعة التونسية ،دون طبعة ،1968م.

48المجدوب عبد العزيز ،الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ،الدار التونسية للنشر: تونس،1975.

49مرمول صالح، السياية الداخلية للخلافة الفاطمية ببلادج المغرب الإسلامي، معهد العلوم الإجتماعية ،جامعة قسنطينة،ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر،سنة:1983م.

50مؤنس حسين ،النصوص السياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، جزء :الأول ، ،مجلة معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،سنة:1955م .

51مؤنس حسين ،معالم تاريخ المغرب والأندلس ،طبعة :الثانية ،دار الرشاد :القاهرة، سنة: 2004م،

52النجار عبد المجيد ، المهدي ابن تومرت ، دار الغرب : بيروت ،طبعة :الأولى ،سنة :1983م.

ج: الرسائل الجامعية :

53التهامي ابراهيم ،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،رسالة دكتوراه في العقيدة ،جامعة أم القرى مكة،سنة :2009م.

54عليلي مُحَّد ،الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين 1هـ و3هـ_7م،8م،أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ،جامعة تلمسان السنة الجامعية :2015م 2016م.

55كعوان حفيظ ،أثر الفقهاء المالكية الإجتماعي والثقافي باءفريقية من القرن 2هـ إلى 5هـ،مذكرة مجستار :جامعة الحاج لخضر : باتنة ، السنة الجامعية م،2009م،2008

56مغزاوي مصطفى .التحولات المذهبية في المغرب والأندلس خلال العصر الموحدي ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط،المدرسة العليا للأساتذة : الجزائر، السنة الجامعية:2012،2011م

57نويوة واعظ ،أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية ، رسالة مجستار في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر ،سنة الجامعية :2008/2007م

ج –المقـــــــــــــالات:

58بدر أحمد .هجرة الثقافة من المشرق الى المغرب في القرن الثاني هـ.دراسات تاريخية.كلية الآداب جامعة دمشق.العدد:08.30أفريل1982م.

د: المقـــــــــالات الالكترونية:

59الجراري عباس، التيار الفقهي المرابطي ومدى تأثيره على الفكر والأدب مقال منشور، بمجلة دعوة الحق وزارة والاوقاف والشؤون الاسلامية
:http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/i/4241
ع:1973،156.157م.

60ولد سالم حماه الله ، الأصول الفكرية لدولة المرابطين وأثارها الصحراوية ،مقال منشور بمجلة مشاهد24:دراسات في الثقافة والمعرفة ، الدار البيضاء ،جريدة إلكترونية تصدرها شركة انبروف ميديا للإستشارات 2015.29.09..
https://machahid24.com/.تاريخ الدخول:25.03.2018 على الساعة:22.00.تاريخ الخروج:23.00.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

الصفحة

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ- ح

الفصل الأول : محن العلماء مع السلطة قبل الدولة المرابطية (دولتي الأغالبة والعبديين): 08- 33

تمهيد :..... 8

المبحث الأول : دور العلماء المغاربة في ترسيخ العقائد السنية 10-17

المبحث الثاني: محن العلماء على عهد الدولة الأغلبية 18-24

المبحث الثالث : محن العلماء على عهد الدولة العبيدية 25-33

الفصل الثاني : محن العلماء على عهد الدولة المرابطية:

(453-541هـ_1070-1146م) 34-64

تمهيد:..... 35

المبحث الأول : الأسس الفكرية للدولة المرابطية 36-43

المبحث الثاني : علاقة الفقهاء بالسلطة في الدولة المرابطية 44-50

المبحث الثالث :موقف السلطة المرابطية من التصوف وعلم الكلام 51-58

المبحث الرابع :نماذج من محن المتصوفة على العهد المرابطي..... 89-64

الفصل الثالث : محن العلماء على العهد الموحدي: 65-89

(541-668هـ_1146-1269م)

تمهيد :..... 66

المبحث الأول: الأسس الفكريةللدولةالموحدية 67-70

المبحث الثاني :موقف السلطة الموحدية من الفقه المالكي..... 71-78

المبحث الثالث : نماذج من محن العلماء على العهد الموحدي 79-84

المبحث الرابع: تداعيات المحن على الفقه المالكي وتيار التصوف 85-89

الخاتمة..... **91-93**

قائمة المصادر و المراجع..... **95-100**

فهرس المحتويات..... **101**